الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد بن بلة -1- وهران
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

ضمن مشروع :أدب عربي قديم -الجذور والمثاقفة -

الأستاذ الدكتور عبد القادر سكران

بلاغة النثر في العصر الأموي

إعداد الطالبة:
لعاني غانية

إشراف :
الأستاذ الدكتور: عبد القادر سكران

أعضاء لجنة المناقشة 2015/06/30

الأستاذ الدكتور.....بن سعيد محمد رئيسا

الأستاذ الدكتور..... سكران عبد القادر مشرفا ومقررا

الأستاذة الدكتورة..... العزوني فتيحة عضوة مناقشة

الأستاذ الدكتور..... بوعزة عبد القادر عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/2014-2015

كلمة شكر

الشكر لله أولا وآخرا على توفيقه في إنجاز هذا العمل المتواضع

ثم الشكر موصول إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد القادر سكران على مساعداته المتنوعة والقيمة فله مني جزيل الشكر وكبير الاحترام والتبجيل.

وأتقدم بالشكر كذلك إلى السادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل وتصويبه، وعلى تكبدهم المشقة في قراءته وتصحيحه رغم ارتباطاتهم وانشغالاتهم.

كما أتقدم إلى كل أساتذة وعمال كلية الآداب واللغات والفنون بالشكر الجزيل فلهم علينا فضل كبير. كما أخص بالذكر الأستاذ غربي بغداد أستاذ جامعي ،من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الشلف.

كما لا أنسى أن أوجه شكري إلى عائلة يعقر لمساندتهم ،وكل عمال مكتبة جامعة وهران و إلى عمال مكتبة المطالعة العمومية بولاية تيسمسيلت وكل عمال مكتبة جامعة الشلف والمكتبة الرئيسية للمطالعة _ محمد مهدي_ بالشلف.

كما أشكر كل من كان له فضل في إنجاز هذا العمل المتواضع.

إهداء

إلى روح والدي الكريم أهدي هذا العمل المتواضع وأرجوا أن يكون في ميزان حسناته.

وإلى من ضحت بحياتها من أجلي،أمي الغالية:دقي ربيعة،اللهم اشفها شفاء لا يغادره سقما،وأدعو الله عزّ وجلّ أن يحميها ويحفظها.

كما أهديه إلى إخوتي:رابح وزوجته خيرة وابنهما "محمد أمير "،وأخي عبد القادر وزوجته خديجة،خيرة وابنتها "ليندة"،وأختي فاطمة،مليكة،علي، ومحمد .

وإلى أقربائي ؛خالاتي وأخوالي وأعمامي وأبنائهم وبناتهم .

وإلى كل زملائي وزميلاتي في العمل والجامعة.

وإلى معلمي عبد القادر مخطاري ،وإلى كل أساتذتي في مختلف مراحل الدراسة والجامعة؛وخاصة الأستاذ المشرف سكران عبد القادر، كما لا أنسى أن أهديه إلى الأستاذ غربي بغداد.

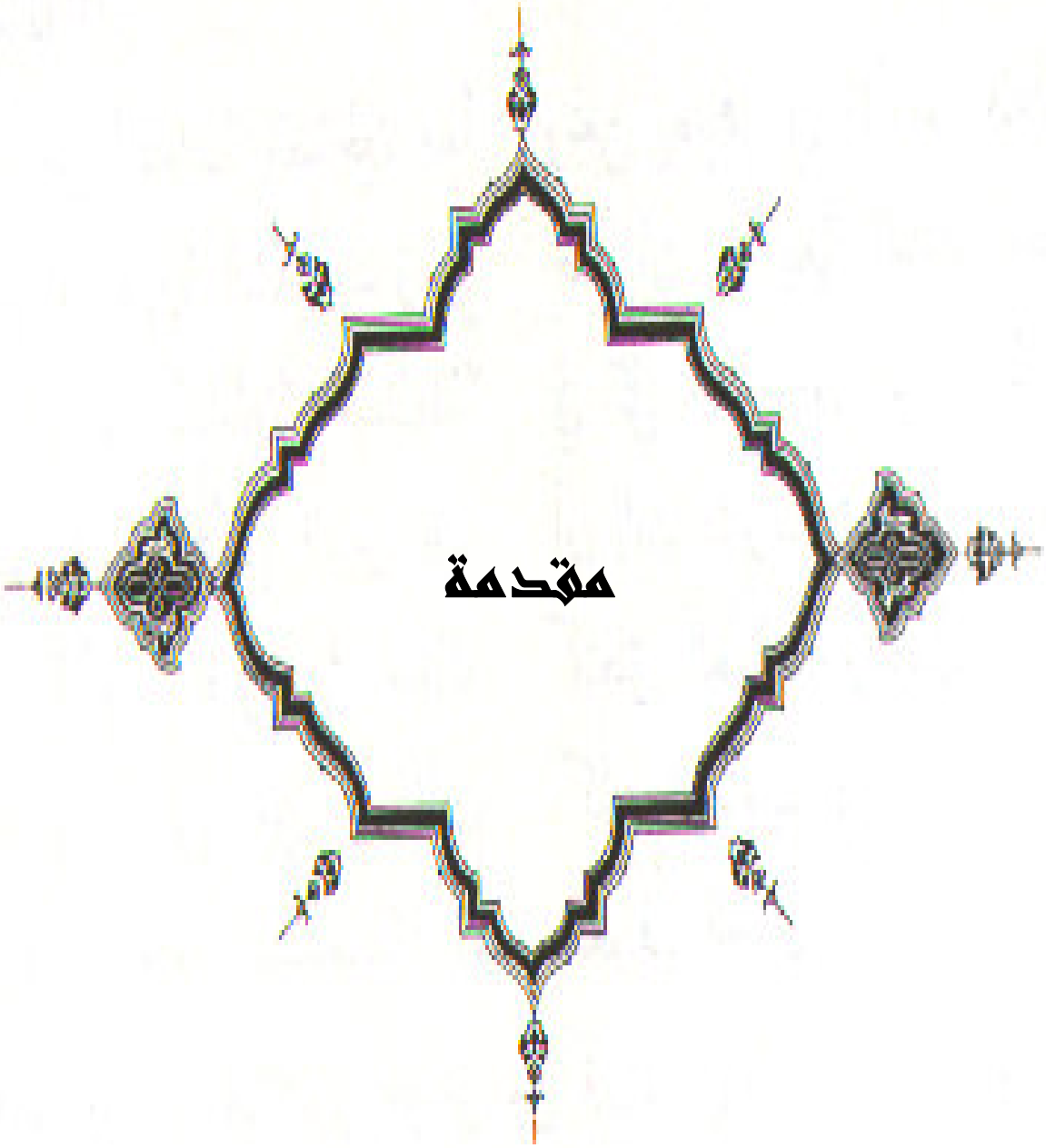
مقدمة

مقدمـــــــة

لقد تعرّض دارس الأدب العربي إلى دراسة الشعر العربي القديم،إذ نجده غالبا ما يتجه نحوه ، ويجعله ملجأً يلجأ إليه للبحث والدراسة والتحليل ،وذلك لما للشعر من علاقة وطيدة بحياة الناس ، فكان القوم يعبرون به عمّا في داخلهم من مشاعر و مفاخر ،وأما النثر فكان في الجاهلية قليل الحظ من الشعر ،فكان عبارة عن خطابة و بعض الحكم والأمثال والوصايا ،وربما نفسر ميل الدارسين نحو الشعر لكثرة قضاياه وموضوعاته في مختلف العصور ،وقد يكون السبب وفرة المادة العلمية وكثرة مصادره، أو قد يكون اختيارهم له لسهولته ومتعة تذوقهم له ومخاطبته للوجدان ،فالباحث لا يضجر ولا يسأم من دراسته للشعر،الذي يجعله مادة حية قابلة للتحليل والتعليق.

فإذا كان هذا النوع من الأدب قد أصبح قبلة الباحثين الذين يتجهون صوبها؛واعتنوا بقضاياه وتفاصيله ،فإنّ النثر العربي وتاريخه الحافل بمختلف جوانبه كان له نصيب غير قليل من الدراسات الأدبية ،والتي لا تقل أهمية عن الشعر ،إلّا أنه لا يزال بكرا ؛و يحتاج إلى التنقيب عن مكنوناته وأسرار بلاغته ،وهذا لا يحصل إلا إذا تناولناه بالدراسة والتحليل والتتبع التاريخي لمختلف فنون النثر من العصر الجاهلي إلى أن نصل إلى عصر بني أمية.

وفي هذا السياق ؛ وقع اختيار موضوع **"بلاغة النثر في العصر الأموي"**،وتهدف هذه الدراسة للبحث عن أبلغ نصوص بني أمية النثرية،واكتشاف مظاهر البلاغة فيها ،وهذا نظرا لأهمية البلاغة في الفنون النثرية المختلفة ،وتطور أساليب البلاغة التي تميزت بالبساطة في هذا العصر.

ويضاف إلى ذلك أنّ هذه الدراسة تهدف إلى الفهم الحقيقي لسر وجود البلاغة العربية الأصيلة، التي تحققت في الشعر أولا _ خاصة في العصر الجاهلي _ ولذلك لا يمكن معرفة كنه بلاغة نثر بني أمية إلّا من خلال تسليط الضوء على أبرز نصوصهم التي تميزت بالفصاحة والبلاغة .

لقد كانت الدراسات النثرية السابقة متنوعة ومتعددة الجوانب ،فلا تقل أهمية عمّا سأتناوله في بحثي ، فكان كل منها يجري في سيل عرم يصب في واد واحد،إلا أن الشيء الذي يميز هذا البحث اقتران النثر وارتباطه بعلم البلاغة ، مما كسى الموضوع حلة جميلة،تزينت بألوان البديع والبيان والمعاني ،واختلاف الأساليب البلاغية التي جعلت نثرهم يكتسب بلاغة راقية شكلا ومضمونا .

إنّ طبيعة الموضوع تقتضي طرح الإشكالية الآتية :هل اقتصرت بلاغة الأمويين على شعرهم دون نثرهم؟وأين تكمن ملامح البلاغة في نثرهم ؟وهل منبعها الفطرة والإلهام أم الاكتساب والتصنع ؟

إنّ الإشكاليات المطروحة والتصور العام لأهمية الموضوع ،والمظاهر البلاغية المتعلقة به؛أدت إلى رسم خطة يرتكز عليها البحث لتوضيح معالمه ،تضمنت جوانب محورية والأخرى منها جوانب تكميلية توضيحية، فاحتوت خطة البحث بذلك مدخلا وثلاثة فصول ، اكتفيت في المدخل _ والذي يعتبر تمهيدا للدراسة_ بالحديث عن الدراسات النثرية التي شملت هذا النوع من الأدب وعلاقة الحياة السياسية بالأدب العربي.

مقدمـــــــة

تضمن الفصل الأول من البحث " بلاغة الخطابة في عهد بني أمية"، ويتكون من مجموعة عناصر،والذي تناول شطر منه "مفهوم البلاغة " ــ ويشمل المفهوم اللغوي والاصطلاحي ــ وأما العنصر الثاني فتناول "الخطابة"،وكذلك الحديث عن تطورها ،وذكرت بعد ذلك أنواع الخطابة (من سياسية ،وعظية دينية ،وأخرى حربية و خطابة الوفود)، واصطُحِبتْ بذكر أبرز أعلام الخطابة في عهد بني أمية في السياسة من الخلفاء ــ معاوية بن أبي سفيان ــ والولاة والقادة أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي و زياد بن أبيه و قطري بن الفجاءة،أما في الوعظ فقد تم ذِكر الحسن البصري و الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وفي آخر هذا الفصل تطرقنا إلى أساليب الخطابة ومميزاتها منها أسلوب السجع ،أسلوب الازدواج.

أما الفصل الثاني فقد تضمن ملامح البلاغة في كتابة الرسائل ،ويشمل عدة عناصر بدءً بمفهوم الكتابة وتطورها ،وأُخذ بعين الاعتبار التسلسل الزمني في الحديث عن الكتابة (من العصر الجاهلي إلى أن وصلت إلى عهد بني أمية)، ثم كان التطرق لبعض المكاتبات و الرسائل المتبادلة بين الأمراء والولاة،وشمل العنصر الثاني فن الرسائل وأنواعه،وتضمن بعض الكتابات والرسائل ــ الرسائل الديوانية ،تفضيل كتابة الإنشاء على كتابة الحساب ــ،و في ثالث عنصر وصلنا إلى بعض المظاهر البلاغية في الرسائل والمكاتبات منها: الاقتباس والتضمين الذي كان بكثرة في المكاتبات والردود السياسية ،أما الإيجاز فميّز الرسائل السياسية،والإطناب برز في الرسائل الشخصية والإخوانية،و في العنصر الذي يليه تم التطرق إلى الفرق بين أسلوب الكتابة وأسلوب الخطابة، وفي الأخير كان الحديث عن أسلوب الرسائل .

أما بالنسبة للفصل الثالث ؛ فكان موضوعه الامتزاج الثقافي وأثره في أساليب النثر الأموي ،وهنا يظهر ما يسمى بالمثاقفة أو اختلاط الثقافات واندماجها_ ، ففي الجزء الأول منه كان الحديث عن أثر الامتزاج الثقافي في النثر الأموي ، وأُخذت بالدراسة أشهر الثقافات وأولها الثقافة الإسلامية و ثانيها الثقافة الفارسية وثالثها الثقافة اليونانية ،أما العنصر الثاني فموضوعه أساليب الكتابة عند عبد الحميد الكاتب وعبد الله ابن المقفع ، وضمن هذا عدة عناصر منها :بلاغة عبد الحميد الكاتب (ويشمل ترجمته ، أسلوب عبد الحميد الكاتب _ الإطالة في التحميدات وأسلوب الإطناب في الرسائل و الأسلوب المتوازن في نثر عبد الحميد الكاتب_ و العنصر الثاني : بلاغة عبد الله ابن المقفع،و فيه ترجمته ، وبلاغة نثره (أسلوب الإيجاز و الأسلوب المرسل في كتاباته ورسائله)، وفي العنصر الثالث كان الحديث عن خصائص أسلوب كتاب كليلة ودمنة ،أما العنصر الرابع ففيه موازنة بين أسلوب عبد الله ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وذلك من خلال ما تمت دراسته في آثارهما النثرية.

ولقد توجت الدراسة بخاتمة احتوت أهم النتائج التي خلصت إليها ، هذا ولا يمكن إغفال بعض العقبات والمعوقات التي اعترضت طريق البحث ،و لا يخفى أن مجال البحث في عصر بني أمية_ بلاغة النثر في الفترة الوسيطة ما بين العصر الإسلامي إلى غاية الوصول لعصر بني العباس(الذي يمثله مخضرم الدولتين الأموية والعباسية عبد الله ابن المقفع) _ وهو عصر شهد اضطرابات سياسية وظهور فرق دينية وأحزاب سياسية أثرت بدورها في النثر،ومما اعترض الدراسة أيضا ؛اختلاف النصوص النثرية الموجودة في مصادر اللغة والأدب، وذلك أنّ معظمها فيها شك في نسبتها لأصحابها_ نجد مثلا خطبة أو رسالة

واحدة تنسب لأكثر من خطيب أو كاتب وسبب ذلك اختلاف الرواة _، هذا من جهة ومن جهة ثانية اختلاف الروايات _ من حيث الزيادة والنقصان_ وذلك حسب المصادر التي ضمنتها في طياتها.

لقد اعتمد البحث على مناهج متعددة ومن أبرزها: المنهج التاريخي الذي اعتمدته الدراسة في تتبّع مراحل تطور النثر في العصر الأموي وتطور أساليب البلاغة فيه،وكذلك منهج الاستقراء والتحليل ثم الاستنتاج وكان ذلك أثناء التحليل للنصوص النثرية.

الطالبة: لعاني غانية ،الشلف في: 2015/05/18 .

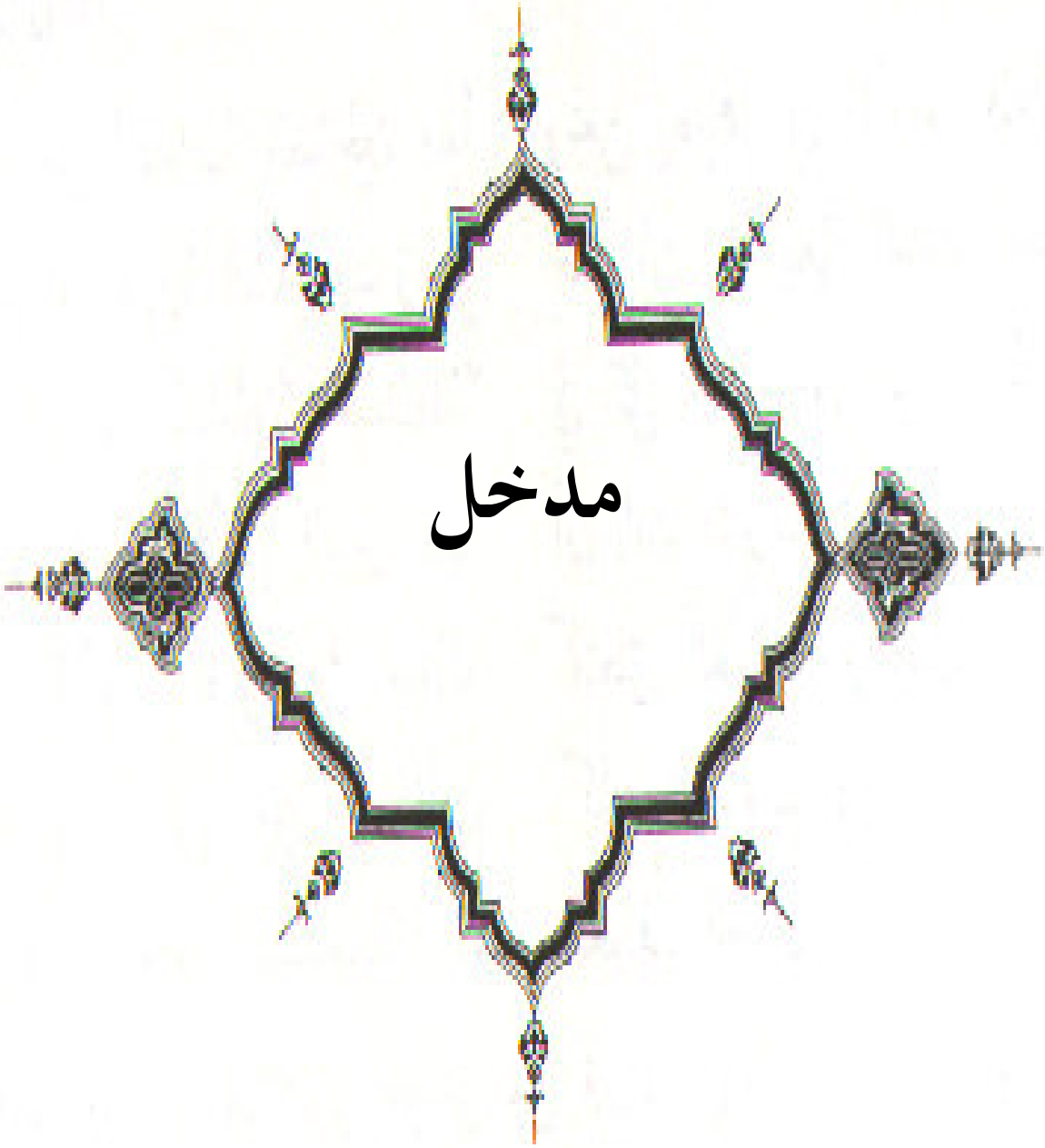
مدخل

1- بعض الدراسات في النثر القديم :

لقد حضي النثر العربي عبر العصور باهتمام الأدباء المحدثين مثله مثل الشعر،فجلّ كتب الأدب العربي وتاريخه تناولته بالدراسة ،وكان ذلك من فترة الجاهلية إلى يومنا هذا،ومن بين كتب تاريخ الأدب نذكر ما ألفه الدكتور أحمد حسن الزيات[1]،وهو الذي يرى أنّ « النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله ، وعدم تقيده،وضرورة استعماله،وهو نوعان :مسجع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية،ومرسل إن كان غير ذلك » ،وما نجده عند الدكتور شوقي الضيف عبارة عن موسوعة تطرق فيها إلى دراسة تاريخ الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى غاية عصر الدول والإمارات ،كما أننا نلاحظ أنه قام بدراسة عصر بني أمية في كتابه العصر الإسلامي ،الذي تحدث فيه عن أبرز فنون النثر في عهد الأمويين وهما الخطابة بأنواعها والكتابة،وعن فن الخطابة قال: « وازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهارا ،لعل العرب لم يعرفوه في أي عصر من عصورهم القديمة، فقد كانوا أصحاب مواهب بيانية » [2]،كما أنّه يرى بأن كتابة الرسائل ازدادت بقوة وذلك لأن حياتهم شهدت اضطرابات سياسية بغية الوصول إلى السلطة ، ولهذا « ... كثرت كثرة مفرطة الرسائل وخاصة السياسية »[3].

[1] – أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي،ص:25 دار الثقافة، ط 29،بيروت، 1985 .

[2] – شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ،ص: 484، دار المعارف،ط20، القاهرة ، د ت ط .

[3] – المرجع نفسه ، ص:485.

وإضافة إلى ذلك يجدر بنا أن نذكر ما جاء به حنّا الفاخوري في مؤلفاته الأدبية[1]،الذي أضحى الأدب العربي القديم جزءا منها.

ومن أهم الكتب التي تناولت الحديث عن النثر العربي ،ما ألفه الدكتور طه حسين[2]عن النثر في الجاهلية والذي يعتبره لا يتعدى المفهوم الذي يعنيه ،فالنثر عند العرب مجرد خطابة فقط،فيقول: «النثر هو الخطابة ، وليس من شك إذا فهمنا حياة العرب الجاهلية أن ما كان يقع بينها من خصومات كان يحتاج إلى كلام غير منظوم ».

وتحدث كذلك عن نثر صدر الإسلام والنثر بعد منتصف القرن الأول الهجري وكذلك نشأة النثر الفني ،فهو « يعتقد أنّ العرب والمستشرقين يرون أن عبد الحميد الكاتب وابن المقفع هما اللذان أسسا للنثر العربي ،وفي هذا كثير من المبالغة ،فلم يؤسس النثر كاتب بعينه،وإنما نشأ نشأة طبيعية ملائمة للشعب العربي الإسلامي ....»[3].

و لا يجب أن ننسى ذكر ما ألّفه الدكتور محمد يونس عبد العال ،فهو كتاب يعد مرجعا مهما لدراسة النثر العربي وفنونه ، حيث نجده تناول كل من الخطابة والرسائل وأفرد لكل منهما فصلا خاصا به،وأشار في مقدمته أن هذه الدراسة قد « طمحت في

[1] – حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي القديم وتاريخه ،الجزء الأول ، أما الجزء الثاني فتعرض إلى الأدب الحديث ،وله كتاب آخر يحمل عنوان " تاريخ الأدب العربي"

[2] – طه حسين ، مج ك ،ج5،ص:575، ط2، دار الكتاب اللبناني،1982.

[3]– ينظر : طه حسين ،من حديث الشعر والنثر،ص:40،دار المعارف، مصر ،1936.

أول أمرها إلى أن (ال)[1]تعرض للفنون النثرية العربية المختلفة ....كان التقدير الأمثل هو الاكتفاء بثلاثة من أشهر الفنون النثرية الرئيسية ذات الحضور الظاهر عبر العصور المتعاقبة ، وهي:الخطب والرسائل والقصص، مع الاكتفاء بعرضها عرضا يتجه إلى الاهتمام ببداياتها قبل الإسلام ثم يتبعها تتبعا يسيرا لا يتجاوز في المختار من نصوصها عصري صدر الإسلام والدولة الأموية [2]».

وكذلك الدراسة التي قدمها الدكتور زكي مبارك عن النثر الفني [3]،حيث أفرد فيها بابا كاملا تحدث فيه عن تطور النثر الفني من عصر النبوة إلى القرن الرابع الهجري ،فهو ينظر إلى وجود نثر فني في الجاهلية والذي يرى أنّ « العرب في جاهليتهم اهتموا بالنثر الفني اهتماما ظهر أثره وعرفت خواصه في خطب الخطباء ورسائل الكتاب... » [4]

ومن بين الدراسات التي أشارت إلى الأساليب الأدبية ،ما تَعرَّض له أنيس المقدسي في كتابه [5]، وتناول فيه النثر العربي وخصائصه الفنية وعرضه لثلاثة أساليب نثرية رئيسية ، ومنها « الأسلوب المتوازن أي المزدوج غير المسجع ،وهو أسلوب أشهر كتاب العصر الأموي "عبد الحميد الكاتب"، والأسلوب المسجع وهو أسلوب الرسائل الديوانية

[1]– أل التعريف التي بين قوسين هنا أضيفت للتوضيح فقط .

[2] – محمد يونس عبد العال، في النثر العربي ،قضايا و فنون ونصوص ،ص:02،ط 1،دار نوبار ،القاهرة،1996.

[3] – ينظر : زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، ج1،ص:57، مؤسسة الهنداوي،القاهرة، 1934.

[4] – المرجع نفسه ، ج1،ص:54.

[5] – المؤلَّف بعنوان "تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي".

والأدبية،أما الأسلوب الثالث هو المطلق،وهو النثر السائد في الكتب العلمية والتاريخية والاجتماعية قديما ... »[1] .

يزخر عصر بني أمية بنثر فني متميز، مما جعله محط اهتمام الكتاب القدامى أيضا مما أدى بهم إلى جمعه للحفاظ على الموروث الأدبي القديم ، ومن بين أشهر المصادر التي جمعت نثر الأمويين _ من خطب ورسائل وتوقيعات ووصايا وأمثال وحكم _ في طياتها، نلمح صاحب العقد الفريد[2] الذي ذكر مجموعة قيمة مما قاله خلفاء بني أمية في مختلف فنون النثر العربي وذكر لنا أبرز خطبائهم المشهورين في السياسة مثل الحجاج ابن يوسف الثقفي [3]وفي الوعظ والإرشاد الحسن البصري ،وأبرع كتابهم في الرسائل بأنواعها .

أما المبرد فكان كتابه[4] مصدرا غنيا في البلاغة والأدب، وذلك لذكره مختلف فنون النثر القولية من خطابة وأمثال ووصايا وتوقيعات،والتي صدرت عن أعلام النثر في عصر

[1] – أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،ص:06، ط4 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1968 .

[2] – ابن عبد ربه الأندلسي، ينظر: ج3 من الكتاب ،ص: 94، ذكر ما كتبه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري ،وغيره من الخلفاء.

[3] – المصدر نفسه، ج4 ،ص:117، يذكر فيه أشهر خطب الحجاج بن يوسف ، منها خطبته إلى أهل الكوفة،التي استهلها بالبيت الشعري :**أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني** .

[4] – المبرد ،الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي ،ج3،ص:217 ،(نجد فيه خطب متفرقة للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز) ،و ص: 122 (خطبة لمعاوية بن أبي سفيان).

بني أمية من خلفاء[1] وخطباء و كّتاب، كما أنه تحدث عن البلاغة والبيان لما ذكره من كلام في الإطناب والإيجاز والكناية [2].

ومن أبرز الكتب التي تحدثت عن البلاغة والأدب كتاب الجاحظ[3] ،والذي يعد مدرسة أدبية فنية لما فيه من كلام عن الخطب والبيان والمكاتبات ، كما نجده يشيد بفضل العرب في البلاغة ومقدرتها الخطابية .

[1] – ينظر ، المبرد ،الكامل في اللغة والأدب ،ج2،ص:136 و137 ،(رسالة الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك).

[2] – ينظر ، المصدر نفسه ، حديثه عن الكناية ،ج2،ص:285.

[3] – البيان والتبيين .

2 – الحياة السياسية وعلاقتها بالأدب في عهد الدولة الأموية:

يصور الأدب ــ شعرا ونثرا ــ الحياة الاجتماعية، والتاريخية والعقائدية للأمم في مختلف العصور ، ففي العصر الجاهلي كان العرب يعبرون عن أنفسهم ، إذ يصورون مواقفهم، ويروون مفاخرهم وينشرون محامدهم ويسجلون مآثرهم ،و تميّز أدبهم بالروح العربية، حيث مثّل حياة العربي أحسن تمثيل ، وطغت عليهم النزعة القبلية وتعصبهم لقبائلهم ، كما عرف العرب قبيل الإسلام بعض الألوان النثرية الشفوية كالخطابة والأمثال والحكم والوصايا ، ولكنّهم لم يكونوا يُدوّنون شيئا منها ، إذ اعتمدوا في نقل أشعارهم على المشافهة كما كانوا يُعوّدون أبناءهم على حفظ الشعر وبعض الخطب والأمثال والحكم.

ولما جاء الإسلام أثّر بشكل كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ،وهذا التأثير شمل الحياة الأدبية [1]أيضا ، وكان ذلك من ناحية الألفاظ إذ تأثرت لغتهم ببلاغة القرآن الكريم ،وفصاحته وإعجازه الذي أبهر العرب والعجم وأعجزهم ، ويعد القرآن المصدر الأول لثقافة المسلمين ، وأورثهم أروع الأساليب وأدقها وضوحا وتصويرا وأرقها .

يبدو أثر القرآن الكريم وضحا في معاني اللغة من حيث الدقة والتفكير والفهم والعمق بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين ومن خبرة وتجربة وإدراك صحيح للحياة،كما اتسعت مادة المعاني باتساع المشاهدات والمناظر والمعقولات

[1]- ينظر :أحمد أمين ،فجر الإسلام، ط10،ص: 195،دار الكتاب العربي بيروت ،1969.

والمعنويات،وتعددت صور الخيال في روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد صور المشاهدات التي انتزع منها ، والتي كانت مادة له [1].

إنّ عهد الدولة الأموية كان حافلا بالصراعات السياسية ، حيث شهدت الدولة معارضة شديدة ،مما أدى إلى ظهور الأحزاب السياسية ، وكان للحياة الدينية ارتباط شديد بالحياة السياسية ، وذلك لاختلافهم في شأن أحقية الخلافة الإسلامية ، مما أدى تفرقهم إلى فرق وأحزاب أهمها الحزب الأموي الذي يرى أن الخلافة الأموية أورثهم إياها عثمان بن عفان ــرضي الله عنهــ ، والشيعة هم أصحاب الإمام علي ــرضي الله عنهــ ، وتشيعوا له ويرون أنه أولى الناس بالخلافة لأنه من بني هاشم ، وكان هذا الحزب من أشد أعداء بني أمية إذ عارضوا حكمهم بقوة ، والخوارج هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه، وينادون بحرية اختيار المسلمين لمن يحكمهم .ومن أشهرهم نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة .وأما حزب عبد الله بن الزبير هم الزبيريون ، ويرون أن أبناء الصحابة الأوائل هم أحق بتولي الخلافة من يزيد بن معاوية [2].

لقد تغيرت طبيعة الحياة ، وتبدّلت بعض مظاهرها اجتماعيا ، وأدبيا تبدلا ملموسا، وذلك أنّ العرب حملوا رسالة مجيدة ، هدفت إلى محاربة القيم الفاسدة التي كانت سائدة قبيل الإسلام،و يقول شوقي ضيف إنّ : " القرآن الكريم مفخرة العرب

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، ص:17، دار الجيل ، بيروت،1990.

[2] – أحمد أمين ،فجر الإسلام،ص:195.

في لغتهم ، إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب " [1] .

إنّ الدكتور "شوقي ضيف" يتحدث عن الإعجاز القرآني ،فالقرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى للأمة العربية كونها تميزت بالفصاحة و البلاغة على غيرها من الأمم،ويظهر لنا الإعجاز في السور القرآنية في ألفاظها ومعانيها و أساليبها وبيانها وبلاغتها، فالقرآن كلام الله لا يستطيع العبد الإتيان بمثله ، والدليل على ذلك قوله جلّا وعلا:﴿ **قُلْ لَئِنْ اِجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالجِّنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبعض ظهيرا** [2]﴾.

إنّ الآية الكريمة تدل على أنّ العرب عجزوا عن معارضته والإتيان بمثله ، فالقرآن ليس بشعر موزون مقفى ولا بسجع مرسل ، وإنمّا هو قرآن عربي فصلت آياته من لدن عزيز خبير، ويتحدث طه حسين [3] أيضا عن هذا الأمر لما تطرّق إلى الحديث على وجود النثر في الجاهلية .

ازدهرت فنون النثر ازدهارا كبيرا في عصر بني أمية ، وكان الإسلام من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة والكتابة غاية النضج، ومن الموضوعات الأصلية للنثر الدعوة إلى الدين ، والدفاع عنه ،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع الفتن ، ولما اختلف المسلمون بعد مقتل عثمان ،وتعددت الفرق ، رقت الخطابة رقيا عظيما ،وذلك

[1] – شوقي ضيف ،العصر الإسلامي ، ص: 30 .

[2]– سورة : الإسراء/ 88 .

[3] – طه حسين ،مج ك ، ، ج 5 ،ص: 576.

لأنّ العرب حافظوا على بلاغتهم وسلامة لغتهم من اللحن . لقد شهدت الدولة الأموية معارضة قوية لها بعد ظهورها بسبب توليها الحكم ،قويت الخطابة واتسمت في عهد بني أمية بالقوة والبطش من قبل الخلفاء بغية اتقاء شر وتمرد الرعية ، ونذكر من الخطب ما قاله الخليفة "عبد الملك بن مروان " بعد قتله مصعب بن الزبير مخاطبا أهل العراق : " أيها الناس إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن " [1] .

و في هذه الخطبة يريد عبد الملك بن مروان أن يظهر بطشه و يحذرهم باستعماله القوة والسيف و أنّه ليس بضعيف، وفي خطبة نسبت للإمام علي يقول :" أيها الناس إنّ الحرب صعبة مُرّة ، وإنّ السّلم أمن ومسرّة، وقد زبنتنا الحرب وزبناها فعرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهي أمّنا " [2] .أمّا هاته الخطبة دليل على استعمال الخلفاء للقوة و أنّهم يعرفون الحروب كما يعرفون أمهاتهم وهذا تفاخر وتعالي من قبلهم وله خطبة أخرى رضي الله عنه يبين فيها فتنة بني أمية وفيها " ... ألا وإنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية ، فإنها فتنة عمياء ، مظلمة عمّت خطتها، وخصت بليّتها ،وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمي عنها و ايم الله لتجدنّ بني أمية لكم أرباب سوء بعدي ، كالنّاب الضّروس ، تعذم بفيها ، وتخبط بيدها ، وتزبن برجلها وتمنع درّها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلاّ نافعا لهم....."[3].

---

[1] – أبو علي القالي ، الأمالي ،، ج 01 ، ص : 12 .

[2] –ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج: 4 ، ص: 132 .

[3] – الإمام علي بن أبي طالب ، نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده ، اعتنى به : علي أحمد حمود ، ج 1 ، ص: 133 ، 134 ، المكتبة العصرية ، 2005 .

لقد كان لتعدد الأحزاب السياسية والصراع أثره الواضح في النثر الأموي ،فكل حزب يدافع عن نفسه بالخطب ويهاجم غيره ، فضلا عن الخطب الدينية والحربية ، والدعوة إلى الجهاد ،فقد كان للأمويين حزب يناصرهم طمعا في العطاء أو تعصبا لهم،وللشيعة خطباء[1] يؤيدون حقهم في الخلافة وينكرون موقف معاوية ، وللخوارج خطباء[2] برعوا في إثارة المشاعر الدينية والدعوة إلى المساواة السياسية.

[1]–يرى الشيعيون أن الخلافة لا ينبغي لها أن تخرج من آل البيت (علي وآل بيته)،ومن خطبائهم أبي موسى الأشعري ،فقد تحاور مع عمرو بن العاص(يمثل معاوية بن أبي سفيان)،فقام خطيبا حمد الله وأثنى عليه:" أيها الناس،إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة،فلم نر أصلح لأمرها ،ولا ألمّ لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر ،فيولوا منهم من أحبوا عليهم..."، إلا أنّ عمرو بن العاص غدر به فقال عمرو:"إن هذا قد قال ما سمعتم ،وخلع صاحبه ،وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ،واثّبت صاحبي معاوية،فإنّ ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه ،والطالب بدمه،وأحق الناس بمقامه" ، أحمد زكي صفوت ،جمهرة خطب العرب ،ج1،ص:212،213.

[2] – للبحث على خطباء السياسة والخوارج وزعماء الأحزاب السياسية والدينية، ومن خطبهم خطبة لحمزة بن سنان الأسدي؛قال فيها:" يا قوم،إنّ الرأى ما قد رأيتم،والحق ما قد ذكرتم،فولّوا أمركم رجلا منكم فإنّه لابد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون إليها" ، أحمد زكي صفوت،جمهرة خطب العرب،ج1،ص:224.

الفصل الأول

بلاغة الخطابة في عهد بني أمية

1 – مفهوم البلاغة :

أ – المفهوم اللغوي:

البلاغة من مادة (ب ل غ) ،و يقصد ب" بلغ" الوصول إلى الشيء ، وتقول:بلغت المكان إذا وصلت إليه [1].وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان لأنّه يبلغ ما يريده[2]، ويقال أيضا: " بلُغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، وهذا قول بليغ ، وتَبَالَغ في كلامه تعاطى البلاغة وليس من أهلها ، وما هو ببليغ ولكن يتبالغ" [3] .

ب – المفهوم الاصطلاحي :

تعددت تعاريف البلاغة ، وكادت تتشابه في مفهومها الاصطلاحي ونذكر البعض منها:

* « البلاغة الفهم والإفهام ، وكشف المعاني بالكلام ، ومعرفة الإعراب والاتساع في اللفظ ،والسداد في النظم ،والمعرفة بالقصد،والبيان في الأداء ،وصواب الإشارة ،وإيضاح الدلالة ،والمعرفة بالقول ،والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار [4] »،و قولهم في البلاغة والإيجاز، أنه سئل أعرابي : من أبلغ الناس؟ قال أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة " [5].

---

[1] – ابن فارس ، مقاييس اللغة ،تح: عبد السلام محمد هارون ،ج1،ص:301،دار الفكر،بيروت، 1979.

[2] – المصدر نفسه ،ج1،ص:302.

[3] – الزمخشري ، أساس البلاغة ،تح: محمد باسل عيون السود، ج1 ،ط1 ،ص:75،دار الكتب العلمية،بيروت.

[4] – ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،ج1،ط5،ص:247،دار الجيل،بيروت ،1981.

[5] – ابن عبد ربه ، العقد ،ج3،ص: 409.

* « جماع البلاغة التماس حسن الموقع ،والمعرفة بساعات القول ،وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر » [1]،وكأنه يقول لكل مقام مقال ويجب مراعاة مقتضيات الأحوال في إلقاء الخطب ،"وذهبوا إلى أن معترك البلاغة تظهر فيه الخواطر براعتها والبلغاء مُنّتها،هو عند توخي تلك الأسرار والمعاني فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام،فالبليغ هو الذي يضع كلامه الوضع الذي تقتضيه تلك المعاني ولا يخل بشيء منها [2]"، ونفهم من هذا القول أن مفاهيم البلاغة عند العلماء تصب في معنى واحد وهو مراعاة مقتضى الحال وإيصال المعنى دون الإخلال به .

ومن مفاهيمها أيضا أنها " ليست البلاغة في الحقيقة إلا ملكة البيان وقوة النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى لتبلغ من مخاطبها ما تريد من أثر في وجدانه يميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه، أو النفرة مما كان يميل إليه [3]" ،وبهذا تكون البلاغة هي التأثير في نفوس المستمعين بألوانها التي تضفي على النص جماليات تبهر عقول الناس .

---

[1] – الجاحظ ، البيان والتبيين،ج1، ص:09.

[2] – الإمام جلال الدين بن محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب،التلخيص في علوم البلاغة،تح: عبد الرحمن البرقوقي،ج1،ط1،ص:11،دار الفكر العربي، 1904.

[3] – المصدر نفسه ،ص:19 .

ومما تعرف به " البلاغة إظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق[1] ".وغالبا ما تقترن البلاغة بالفصاحة ،وهما صفتان للمعنى لا للفظ ،" فمحال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة "[2]،ويرون أن الفصاحة لو كانت صفة للفظ لكان ينبغي على القارئ أن يحسها فيه حال نطقه ،واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى :﴿**وَاشْتَعَلَ الرَأْسُ شَيْبًا** ﴾[3] .

ومن أدوات البلاغة التي يحتاجها الكاتب والخطيب والشاعر الفطرة والموهبة، أي ما يسمى بالطبع ،فلا نجد بلاغة بدون طبع ،فهي مبنية عليه لاعتباره أهم الأسس البلاغية الفنية،ولذلك نجد أبا هلال العسكري يذكر أنّ أول آلات البلاغة جودة القريحة ، وهذا لا نكتسبه وإنما نطبع عليه .والطبع وحده غير كاف ، فهو مصحوب بمقومات منها الدربة والمران ،ولا ننسى كذلك الاستعداد النفسي والذهني ، فالحالة النفسية تؤثر سلبا أو إيجابا على الخطيب مثلا، أو الكاتب أو الشاعر ،فعلى الأديب أن يكون خالي الذهن من كل المعوقات التي تعترضه أثناء العملية الإبداعية .

و البلاغة هي " إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز ، ومعرفة الفصل من الوصل. وقيل : العاقل من خزن لسانه، ووزن كلامه،وخاف الندامة . وحسن البيان

---

[1] – الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1 ،ص:220 .

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،تح:عبد الحميد الهنداوي،ط1،ص:259،دار الكتب العلمية،بيروت،2001.

[3]– مريم /4 ، وقيل أن الفصاحة تكمن في معنى الآية وما تحمل من دلالة في باطنها وليس في ظاهر لفظها ،فظاهر اللفظ لا يشير إلى مدلوله فالاشتعال لا يكون للرأس ،وإنما يقال اشتعلت النار ،أو اشتعل الحطب .

محمود ،وحسن الصمت حكم، وربما كان الإيجاز محمودا .....ولكل مكان مقال، ولكل كلام جواب ،مع أن الإيجاز أسهل مراما وأيسر مطلبا من الإطناب ، ومن قدر على الكثير كان على القليل أقدر .والتقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف ، والتكرار للتوكيد،والإكثار للتشديد .... وإلى هذا ذهب من عدّ الإكثار عيّا ،والإيجاز بلاغة [1] "

ومما أُثِر عن عبد الله ابن المقفع من كلام في الإنشاء والبلاغة :" إياك والتتبع لحوشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فإن ذلك هو العيّ الأكبر ، وقال لآخر : " عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة. وقيل ما البلاغة؟ فقال: " الذي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها "[2].

و يرى الحصري القيرواني أنه "لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع ،إذ قال : " البلاغة اسم لمعان في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الحديث ،ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون ابتداءا، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون سجعا،ومنها ما يكون خطبا، ومنها ما يكون رسائل ، فغاية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ، والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب فيما بين السماطين[3] وفي

---

[1] – الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، الرسائل الأدبية ، تح: علي بوملجم ،ص:295، 296 .

[2] – محمد كرد علي، رسائل البلغاء، ص:12.

[3] – السماطان: الصفان .

إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خطل[1] ، والإطالة في غير إملال[2]" .فالبلاغة إذن مجموعة الخصائص التي توفر للقول الجودة والرقي ،وأعلى طبقات البلاغة بلاغة القرآن الكريم ،وما دون ذلك بلاغة البلغاء من الناس فمنهم الخطباء ومنهم الكتاب ؛ودرجة البلاغة تتفاوت عندهم من شخص إلى آخر ،وقسمت البلاغة عند القدماء إلى إيجاز وتشبيهات واستعارة وتجانس وتضمين وفواصل [3].

2 – الخطابة :

لقد بدأت فنون النثر تتسع وتتعدد أغراضه في عهد بني أمية،حيث أصبحت الحاجة ماسة إليه في تسيير شؤون الدولة وتنظيمها،ومن بين هذه الفنون نذكر فن الخطابة (وإن كان هذا الفن موجودا منذ الجاهلية) ،ودعت إليه عدة عوامل وأسباب متعلقة بأحوال المجتمع القبلي آنذاك،"وكان للعصبية القبلية التي استقرت بين القبائل أثرها في اشتداد الحاجة إلى الخطابة والخطباء"[4] ،فاستعملوها لأغراض سياسية واجتماعية واقتصادية ، " فقد كان الخطباء ينطقون بلسان القبائل ويحرصون عل أن يعجبوا السامعين لا ليقنعوهم

---

[1]– الخطل : السخف .

[2] – أبو إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تقديم صلاح الدين الهواري، ج1 ،ص:141،المكتبة العصرية، بيروت ، 2005.

[3]– ينظر: محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع،ص: 22،مطبعة الأطلس،القاهرة،1982.

[4] – محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي ، ص:135.

فحسب ، ولكن ليثيروا فيهم لذة فنية ، والخطباء كانوا يقنعون ويحاجون معتمدين في ذلك الأدلة والبراهين لجلب انتباه السامعين " [1].

ولما تغيرت بعض مظاهر الحياة في مختلف جوانبها من أمة متعددة الديانات إلى أمة تدين بدين واحد(الدين الإسلامي) .كما " كان ظهور الإسلام بالدعوة العظمى من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها ،وجعلت الأمر في أيدي رجالها"[2] ، وذلك لأهميتها وقوة تأثيرها في المستمعين ،وتوفرها على حرية القول ، إذ احتلت موقعا متقدما بين فنون القول النثرية، فكانت ذات مكانة مهمة، ومستوى فني رفيع .

والأمر الذي أدى إلى رقيها أن سلائق اللغوية للعرب لازالت على ما عهدناها عند الجاهليين ، "ولم تفسد ألسنتهم بمجاورة الأمم الأجنبية والاختلاط بشعوبها ، وكانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع "[3]، في حين كان لتغير الحياة الاجتماعية وارتباطها بالشؤون السياسية أثر كبير أدى إلى ظهور الأحزاب السياسية المعارضة لحكم بني أمية .

[1] – طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ص: 26 .

[2]– أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي،ص:192.

[3] – شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ،ص: 405.

وتحدث عن هذا زكي مبارك فرأى أنه " كان من دواعي ذيوع البلاغة عندهم حاجتهم إلى الدفاع عن صدق النبوة ثم اشتجار الفتن بينهم، فتن التحزب والاختلاف والانقسام التي كانت أهم باعث على شيوع الكتابة والخطابة (...) وأول مظهر لقوة الخطابة والكتابة هو التنافس الشديد الذي قام بسبب الخلافة "[1].

تعد البلاغة أهم ما يميز أيّ لون أدبي في النثر العربي القديم، إذ " هي بلاغة يستجيب فيها الكُتاب للقواعد العامة في الإنشاء، وهي قواعد غير خاصة بجنس من أجناس الأدب ، أو بغرض من أغراضه ،وإنّما تستند إلى المتصورات الجمالية المشتركة التي يكتسب الكلام بإجرائها صفة الكلام البليغ فإحكام صناعة الجناس أو البحث عن تناسق السجع أو الافتتاح بالدعاء مظاهر إنشائية أي شعرية الترسل، تشترك فيها أجناس نثرية أخرى" [2]. كما أنّ العلوم البلاغية ليست خاصة بلون أدبي دون سواه ، وإنما الخصائص الفنية والجمالية تخص الأدب بصفة عامة ،فالبلاغة إذن تستدعي العقل.

أما التوحيدي[3] في حديثه عن البلاغة يقول بأنها" هي الجِدّ ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنّها تحق الحقّ وتبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه ، ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تختلف ، وأغر اض تأتلف ، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها

---

[1] – زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة الهنداوي،،ج1،ص:57،القاهرة، د ت ط.

[2] – ينظر :صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، ص :10 ، ط1 ، دار فارابي،بيروت،2001.

[3] – أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة ، اعتنى به : محمد الفاضلي ، ص: 74 ، دار الأبحاث ، الجزائر ، 2007 .

من خير وشر،وإباء وإذعان وطاعة وعصيان وعدل وعدول وكفر وإيمان،والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضح الحكمة وصاحب البيان والخطابة ،وهذا هو حد العقل".

ويوضح أبو منصور الثعالبي [1] ذلك قائلا :"البلاغة ميدان لا يقطع إلّا بسوابق الأذهان ، ولا يسلك إلا ببصائر البيان ، فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله ".

لقد كانت الفنون النثرية في التراث الأدبي العربي ، تقتصر على ما يسمى بالنثر الفني، "وتعريف هذا النثر تحجّر في مفهوم ضيق وأصبحت فنية النثر مقصورة على المحسنات البديعية ، فالنثر الفني في مفهومه التقليدي عندنا هو المسجوع (.....)،وقد سيطر علم البديع على فنون الأدب شعرية كانت أو نثرية حتى أصبح ما نسميه بالنثر الفني هو النثر المسجوع"[2] .

ذكر محمد عبد المنعم خفاجي رأي "طه حسين " حول بداية نشأة النثر الفني وهو أن القرن الأول الهجري لم يكن فيه نثر فني يعتد به ، وإنما كان الشأن للشعر،والقرآن لا يصح عدّه نثرا ولا شعرا ....إلى أن النثر الفني في الأدب العربي يبتدئ بابن المقفع [3] " . إنّ وجود النثر في الأدب العربي كان قبيل الإسلام، إلا أن

---

[1] – أبو منصور الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة ،تح:عبد السلام الحوفي،ص:47،دار الكتب العلمية،بيروت، د ت ط.

[2] – محمد مندور ، الأدب وفنونه ، ص : 06،ط5،نهضة مصر للطباعة، القاهرة،2006 .

[3] – محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، ص:96، دار الجيل ، بيروت ، 1990.

هذا النثر كان بسيطا لا تكلف فيه، تميز ببلاغته التي كان مصدرها الطبع لا التصنع،واختلفت مظاهرها وتنوعت في جميع خطبهم،فلا نجد خطبة واحدة خالية من ألوان البيان والبديع.

وعن أقسام النثر قيل : "وأما النثر فمنه السجع ،يؤتى به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم [1] "، ويبدو أن النثر المطلق أو المرسل نثر قديم في الأدب العربي، ويقصد به " ما كان يرسل على السجية دون تعمّل فني خاص "[2]، وهذا النوع من النثر يكون مرسلا مطلقا من قيود الصناعة اللفظية ، فالاهتمام بإيصال المعنى هو الهدف المنشود.

وفي حديث الجاحظ[3] عن بلاغة الخطابة يقول :" لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ،ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء،فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والإفصاح للإفصاح والكناية في موضع الكناية،والاسترسال في موضع الاسترسال"،ويظهر لنا من ذلك أن الخطابة عنده تقابل الإفصاح والتصريح ،فالكناية عنده

---

[1] – ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ص: 308،قدمه : عبد الهادي بن منصور و عبد القادر بوزيدة وأحمد هني وحسن بن مهدي ،عاصمة الثقافة، الجزائر،2007.

[2] – أنيس المقدسي ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص:20 .

[3] – الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون،ج1 ،ص:39، ط2، مطبعة الحلبي،مصر ،1966 .

من الأساليب البلاغية التي يتطلبها المعنى للتعبير عنه ولا يجوز إلا فيها وأن العدول عن صريح اللفظ في المواطن التي تتطلبها مخلّ بالبلاغة .

3- أنواع الخطابة :

و في عصر بني أمية اختلفت موضوعات الخطابة وتعددت غاياتها، إلا أنها طبعت بالطابع الديني الذي كان غالبا عليها ،"فالخطباء مهما تباينت أغراضهم وتلونت مشاربهم كانوا يتوسلون بالدين لإقناع الناس والتأثير فيهم ، واستمالتهم،(....) ،فقد رأينا أنهم كانوا يرمون إلى أغراض مختلفة منها السياسي المروّج لدعاوى شخص أو فئة أو حزب ،ومنها الحماسي المحرّض على الجهاد ومقارعة الأعداء [1]" ،وبذلك اختلفت أنواع الخطابة وتعددت مشاربها .

وإذا كانت بعض ضروب الخطابة تحتاج إلى التدليل المنطقي، والحجاج العقلي كخطب المرافعات في المسائل المدنية ،والخطب العلمية ،فإن خطب الحرب والتحضيض على القتال وبعض الخطب السياسية تحتاج إلى الإثارة العاطفية، ومما يمتاز به أسلوب الخطبة ذلك الوضوح الذي يكشف عن قصد الخطيب في غير تعمية ولا تضليل ، ومن أقرب الطرق مجازا وأبينها جوازا "[2]. فأسلوب كل خطبة يختلف عن غيرها من الخطب ، فهناك

---

[1]- حبيب يونس مغنية ، الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي،ص:332،دار ومكتبة الهلال، لبنان،2002.

[2] - ينظر: يمحمد عبد الغني حسن ، فنون الأدب العربي ، الخطب والمواعظ ، ص:49 ، ط4 ، دار المعارف ، مصر،د ت ط .

خطب الأعياد والمناسبات الدينية ، فهي تؤثر على نفسية المستمعين و تهز مشاعرهم ،أمّا الخطب الحربية فتتميز بالنبرة الخطابية القوية.

ومما ميّز هذا العصر أنّ الخطباء كانوا من الخلفاء [1] والولاة [2] ،ورؤساء الأحزاب [3]، إذ كانوا من ذوي البلاغة والفصاحة [4].

أ – الخطابة الحربية :

وتسمى أيضا الخطب الحماسية وموضوعها الحث على الجهاد والدعوة إلى قتال العدو،"وقد جرت العادة أن تلق الحماسية والخطيب على صهوة فرسه أو فوق نشز من الأرض وصارت العادة أيضا وفي يمين الخطيب سيف أو رمح وربما استعاضوا بالراية ويستحسن أن يكون الخطيب في كامل زيّه الحربي لتكون الخطبة حماسية وربما استعاضوا عن هذا اللباس بأن يلتاث المحارب بعمة سوداء كانت العرب تعتجر بها أيام التراث (الثارات)"[5].

---

[1] – نذكر كلا من : معاوية بن أبي سفيان و عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن مروان.

[2] – نذكر الحجاج بن يوسف الثقفي و زياد بن أبيه .

[3] – قطري بن الفجاءة والمهلب ابن أبي صفرة (زعماء الخوارج)، وعبد الله ابن الزبير (زعيم حزب الزبيريين) ،والحجاج بن يوسف كان يمثل حزب بني أمية، (ينظر: أبو منصور بن طاهر التميمي البغدادي، الملل والنحل،تح:ألبير نصري نادر،دار المشرق ،بيروت،1986).

[4] – ستظهر فصاحتهم وبلاغتهم من خلال ذكر خطبهم في هذا الفصل وفي أنواع الخطابة بالتحديد.

[5] – قدور ابراهيم عمار المهاجي ، دراسات في الأدب العربي قبل الإسلام ،ط1،ص:162،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1998 .

عرف العرب هذا النوع من الخطب في الجاهلية ،وكثرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين و عهد بني أمية، وقيل "إن العصر الذهبي للخطب الحربية هو العصر الذي شهد معارك الفتح الإسلامي في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية ، وشهد أيضا الحروب الناشئة عن الفتنة التي مني بها المسلمون منذ أواخر عهد عثمان بن عفان . رضي الله عنه . فقد كان قادة الجيوش والخطباء المرافقون لكل جيش ، يلهبون حماس المقاتلين بالخطب قبل المعركة ، ويلقون الخطب في أعقاب المعارك للتهنئة بالانتصار[1].

كما أن هذا النوع من الخطب امتازت بوفرة البيان، واستخدام البديع ومنه السجع مما أعطاها تناغما حسنا والاقتباس من القرآن[2].

أعلام الخطابة الحربية :

من الأئمة الخطباء في عهد الأمويين نذكر الإمام علي_ رضي الله عنه_[3] وهوالعلماء الشجعان المشهورين،والزهاد المذكورين ،والخطباء المفوهين[3]، اشتهر بكثرة خطبه و بحكمته، ومعاوية بن أبي سفيان .

---

[1]– محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في العصر العباسي، ط2،ص:20، دار جرير،عمان، 2006.

[2] – ومن الخطب ما خطب به الإمام علي :" أيها الناس إنّ الله تعالى ذِكره،قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب وتشفي بكم على الخير،إيمان بالله ورسوله،وجهاد في سبيله،....،وأخبركم بالذي يحب فقال:﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ،فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ،وقدّموا الدارع،وأخرّوا الخاسر، وعضوا الأضراس "،(الآية المقتبسة من القرآن الكريم من الصف/4)، أحمد زكي صفوت،جمهرة خطب العرب،ج1،ص:172.

[3] – أحمد رضا ، تراجم الخلفاء الراشدين ،الإمام علي بن أبي طالب ،تح: محمد حسين الأعرجي ،ج4 ،ص:469 ،دار الحديث ،القاهرة،2004 .

الإمام علي رضي الله عنه:

إنّ خطب الإمام علي كانت متنوعة في مختلف الموضوعات ، فمنها السياسية والحربية والوعظية ، وهذا يدل على أنّه أفصح العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت مجالاتها متنوعة فمنها الدينية ومنها السياسية .

جمع الإمام علي _ رضي الله عنه _ أصحابه و أصحاب النبي _ صلّى الله عليه وسلّم_،قام خطيبا فقال :" نحن أهل بيت الرحمة ، وقولنا الصدق ،وفعلنا الفضل،ومنا خاتم النبيين،وفينا قادة الإسلام، وفينا حملة الكتاب،ألا إنا ندعوكم إلى الله ،وإلى رسوله،وإلى جهاد عدوه،والشدة في أمره ،وابتغاء مرضاته،وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة، وحج البيت،وصيام شهر رمضان ....."[1] . اصطبغت خطبته بالصبغة الدينية لفظا ومعنى ، وتميزت بالإيجاز،والبساطة والسهولة ،وتزينت بالسجع [2] .

وسوف نتوقف على بعض خطب الإمام علي ومن بينها خطبة عن مقتل عثمان ، فقال فيها:" لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا ، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ،ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره

[1] – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ،ج1 ،ص:169،ط1، القاهرة،1923 .

[2] – في قوله :...عدوه،....أمره،....مرضاته،وهو سجع قصير مطرف ،ونجد السجع المتوازي في قوله :"إقام الصلاة،وإيتاء الزكاة " ،السجع المتوازي هو أن تتفق اللفظة الأخيرة من المقطع الأول مع نظيرتها في المقطع الثاني.

من هو خير مني ، وأنا جامع لكم أمره ، استأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكم واقع في المستأثر و الجازع "[1].

تعتبر الخطبة من الناحية الفنية والبلاغية خطبة بليغة ،معانيها رفيعة ،ألفاظها جزلة،فهي خطبة ميّزها الإيجاز فهو لم يسهب فيها بل عبّر عما يريده بألفاظ قليلة ولم يخلّ بمعناه،ومما فيها من البديع [2]جعلها ذات جودة وأناقة.

وهذا بين لنا مدى بلاغة الإمام وفصاحته . وفي خطبة [3]أخرى له يقول :" أيها الناس إنّ الحرب صعبة مُرّة ، وإنّ السّلم أمن ومسرّة، وقد زبنتنا الحرب وزبناها فعرفناها

---

[1] – عز الدين أبي حامد عبد الحميد هبة الله المدائي، شرح نهج البلاغة، تع: حسين الأعلمي ،ط1 ،ج1، ص: 346و347 ،الأعلمي للنشر،بيروت ،1999 .

[2] – ومن ألوان البديع الموجودة في الخطبة الطباق في قوله :" أمرت " و"نهيت" ، "نصر"و "خذل" و نجد التجنيس في " استأثر" و"الأثرة" و" جزعتم " و"الجزع" .

[3]– إنّ خطبة الإمام شملت التضمين من الشعر(أبيات الشاعر قيس بن رفاعة)؛وذلك ليشبه حاله معهم بحالة مشابهة ،ويدل تضمينه للبيت إطلاعه الواسع على أشعار الجاهليين،ومن الطباق:الحرب والسلم ، وفي نحن بنوها وهي أمنا،ومن التجنيس مثل زبنتنا وزبناها .

وألفناها فنحن بنوها وهي أمّنا ،أيه فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فِراق جماعات المسلمين، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأوّلين وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلّا شرّاً، ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلّا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود لمثلها فليعد، فإنّما مثلي ومثلكم كما قال أبو قيس بن رفاعة:

فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فِراق جماعات المسلمين، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأوّلين وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلّا شرّاً، ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلّا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود لمثلها فليعد، فإنّما مثلي ومثلكم كما قال أبو قيس بن رفاعة:

مَنْ يَصْلَ نَارِي بِلا ذنبٍ ولا تِرَةٍ يَصْلى بنارِ كريمٍ غيرَ غدَّارِ

أنا النَّذيرُ لَكُمْ مِنِّي مُجَاهَرَةً كَيْ لَا أُلَامَ عَلَى نَهْيِي وإِنْذَارِي

وصَاحِبُ الوِترِ ليس لدَّهْرُ يُدرِكُهُ عِنْدِي وَإِنِّي لدَرّاكٌ بأوتاري" [1] .

استهل الإمام خطبته بأسلوب الإنشاء [2]وكان غرضه لفت انتباه السامع وأتبعه بالإخبار[3]للتأكيد،واستعمل من البديع الجناس وهو من أنفس أنواع البديع،إذ يحتاج صاحبه إلى صفاء الذهن واستعداد فطري،وتكمن بلاغته في إعطاء ثراء موسيقي للجملة،كما يقوم

---

[1] – أبو علي القالي ، الأمالي ، ج: 1 ، ص: 11و12، عاصمة الثقافة العربية،الجزائر ، 2007 .

[2] –" أيها الناس "، ونوعه نداء ، واستعمل النداء مصحوبا بالأمر في :أيها النّاس فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فِراق جماعات المسلمين، والغرض من الأمر النصح والإرشاد والتحذير .

[3]– إنّ الحرب صعبة مرة،وإنّ السلم أمن ومسرّة .

بتقوية النغمة الموسيقية في الخطبة،واستعان بالطباق وهو من الحلى اللفظية إذ يحدث في الجملة تناغما صوتيا ،ويخدم المعنى بذكر الشيء ونقيضه ،وتتجلى بلاغته في أثره الواضح المتمثل في تقوية المعنى .

معاوية بن أبي سفيان [1]:

له خطب كثيرة سنذكر البعض منها فيما سيأتي ،ومنها ما قاله في تحريض أهل الشام:

" يا أيّها النّاس، أعيرونا جماجمكم وأنفسكم ،ولا تتخاذلوا ، فإنّ اليوم يوم أخطار، ويوم حقيقة وحفاظ، إنّكم لعلى حق، وبأيديكم حجّة ،إنّما تقاتلون من نكث البيعة ، وسفك الدّم الحرام..."[2]،والظاهر لنا في خطبة معاوية غلبة الأسلوب الخبري[3]،إلّا أنه استهل خطبته بأسلوب إنشائي [4] .

---

[1] – هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أول خليفة أموي،" وكانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوما ،"(ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج 4 ، ص: 343).

[2] – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج1،ص:163.

[3] – لتأكيد المعنى وتقريره ليبلغ به الهدف المراد تحقيقه، ومنه نذكر قوله : فإنّ اليوم يوم إخطار ،وإنكم لعلى حق ،إنما تقاتلون من نكث البيعة .

[4] – يا أيها الناس" ،وهو أسلوب النداء ،والغرض لفت انتباه المخاطبين،والأمر في قوله :أعيرونا جماجمكم وأنفسكم ،والغرض منه الطلب والالتماس ،والنهي في قوله :لا تتخاذلوا .

وخطب الناس أيضا فقال:" الحمد لله الذي دنا في علوه، وعلا في دنوه،وظهر وبطن،وارتفع فوق كل ذي منظر،هو الأول والآخر،والظاهر والباطن،يقضي فيفصل، ويقدر فيغفر،ويفعل ما يشاء،إذا أراد أمرا أمضاه،وإذا عزم على شيء قضاه....وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ ،أنظروا يا أهل الشام إنكم غدا تلقون أهل العراق ....إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم....[1]" امتازت هذه الخطبة بروعة التحميد[2]الذي استهل به خطبته وهو من الابتداءات المحمودة في الخطب ، وازدانت بألوان البديع من مقابلات[3] وتلتها المطابقات[4] ؛مما أضفى على خطبته جرسا موسيقيا رنانا وذلك بتواليهما معا لكونهما حليتان لفظيتان تخدم كل منهما المعنى ، و تزينت بالجمل المسجوعة الفواصل[5] التي تجذب انتباه السامع وتقرع أذنه وبالتالي تحدث أثرا في نفس القارئ أو السامع، والاقتباس من القرآن الكريم [6]،وكذلك استعمل أسلوب الشرط[7] .

---

[1] – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج1،ص : 188 و189، والآية الكريمة من البقرة/253..

[2] – الحمد لله الذي دنا في علوه، وعلا في دنوه،وظهر وبطن،وارتفع فوق كل ذي منظر،هو الأول والآخر،والظاهر والباطن.

[3] – في قوله " الذي دنا في علوه" تقابلها جملة"علا في دنوه "

[4] – في قوله :"ظهر وبطن" ،" الأول والآخر" ،" الظاهر والباطن.

[5] – وذلك في " دنا في علوه ،وعلا في علوه" وهو سجع قصير متوازي ،و" ...منظر،...آخر"وهو سجع مطرف ،وكذلك " ...أمضاه،.....قضاه" .

[6] – يظهر في تضمين الخطبة الآية الكريمة،الذي جعلها أكثر انسجاما مع عبارات الخطبة ،وهذا دليل على ثقافته الإسلامية .

[7] – في :إذا أراد أمرا أمضاه ،وإذا عزم على شيء قضاه.

ولقد كان لمعاوية بن أبي سفيان كلام عن البلاغة ، إذ قال معاوية لصُحار بن عيّاش العبدي : ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه ألسنتنا ، فقال له رجل من عُرض القوم : يا أمير المؤمنين هؤلاء بالبُسر والرُّطب أبصر بهم من الخطب، فقال له صُحار : أجل والله ، إنّا لنعلم إنّ الريح لتلقحه ، وإنّ البرد ليعقده ، وإنّ القمر ليصبغه ، وإنّ الحرّ لينضجه . وفال له معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال: الإيجاز .قال له معاوية : وما الإيجاز؟ قال صُحار : أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صُحار؟ قال : أقلني يا أمير المؤمنين ، ألا تبطئ ولا تخطئ[1]. والذي قصده صُحار بقوله عن البلاغة أنّها "شيء تجيش به أنفسنا فتقذفه ألسنتنا" ، بأنّها تنبع عن موهبة وفطرة ، وأنها تعبير عمّا في داخلهم من مشاعر صادقة بأسلوب فصيح بليغ،وأنّ البلاغة هي الإيجاز ، والإيجاز هو الإجابة من دون إسهاب وقول بلا أخطاء.

لقد كان للخطباء مكانة رفيعة ، و همم عظيمة ، ولذلك وصفوا الخطباء"جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة ، ونبهوا القلوب من رقدتها،ونقلوها عن سوء عادتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغباوة الغفلة ، وداووا من العي الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ، خطيب لا تناله حبسة ، ولا ترهنه لكنة ،ولا تتمشى

[1] – الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1 ،ص: 83

وفي خطابه رتة [1]، ولا تتحيف[2] بيانه عجمة ، ولا تعترض لسانه عقدة ، خطيب جواهر نفثاته صحاح ، وعرائس أفكاره صباح ، خطيب تزينت بدرر ألفاظه عقود الملح ، لا عيب فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والدر ، خطيب مصقع ينثر لسانه اللؤلؤ المكنون ، هو الخطيب المصقع الذي أشخص بآيات خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاها ، هو الخطيب المصقع الذي تتلاعب بالعقول معانيه ، ويصاغ الدر من لفظ فيه ، هو الخطيب الذي تهتز له المنابر ،وتنقاد إليه كلمات السحر متسابقة .." [3] .

ومن خلال ما وصف به الخطباء ، يتبين لنا أنّهم يتمتعون بالقدرة على التأثير في نفوس السامعين ، وتتبعوا في ذلك السبيل الأيسر و الطريق الأسهل ، فالخطباء تميزوا عن غيرهم بالطلاقة والجرأة ، وليست لديهم عيوب نطقية تمنعهم من تأدية مهامهم وإيصال أفكارهم ، بلاغتهم سامية و فصاحتهم عالية ، و أفكارهم تركوها لكم تذكرة لتعيها أذان واعية، وكأنّ خطبهم لؤلؤا منثورا ، والخطباء هم الذين تهتز لهم المنابر لنبرة أصواتهم القوية وفخامة ألفاظهم وجزالتها ، ومعانيهم التي تتلاعب بعقول الناس، وتنصاع لأوامرهم سحر البيان .

---

[1] – الرتة هي العجمة .

[2] – تتحيف بمعنى تنقص .

[3] – السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ص: 327 و32.

ب - **الخطابة السياسية وأعلامها :**

1- الخطابة السياسية [1]:

وهي التي نهضت نهوضا عظيما في إطار النزاعات القائمة بين الأحزاب السياسية وبصفة خاصة الأحزاب المعارضة لبني أمية ،إذ قام خطباء تلك الأحزاب بالدعوة إلى تصوير مذاهبهم السياسية ،وكانوا يلقون أنصار بني أمية بخطابة ملتهبة ؛فيصورون فيها خروجهم عن الجماعة ،وكل ذلك هيأ لقوة نشاط الخطابة السياسية ،وبذلك انتشرت خطبهم في عهد الأمويين[2] ، وكان لكل حزب خطباؤه الذين يدافعون عنه ، ومن خطباء الحزب الأموي نذكر زياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ؛فهما يعدان من أشهر خطباء السياسة.

ومن الحزب الشيعي هناك المختار الثقفي وزيد بن علي والكميت بن زيد الأسدي ومن حزب الخوارج نجد عمران بن حطان وأبو حمزة الشاري ، وأبو حمزة الخارجي وقطري بن الفجاءة ، ومن حزب الزبيريين نجد عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب [3].

---

[1] – الخطابة السياسية موضوعها السياسة وإثارة الفتن والثورات والحروب ،وكانت تدور حول أحقية الخلافة االإسلامية وبسببها ظهرت الأحزاب السياسية بكثرة.كل حزب يدافع عن نفسه ويقيم الحجة على الأحزاب السياسية الأخرى .

[2] – ينظر: شوقي ضيف،العصر الإسلامي،ص:407.

[3]– ينظر: أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي،ص:200.

2 – أعلامها :

من الخلفاء : معاوية بن أبي سفيان :

قال:" أيّها الناس ، إنّي كنت أعددت مقالا أقوم فيكم فحجبت عنه ، فإنّ الله يحول بين المرء وقلبه [1]، كما قال في كتابه ، وأنتم إلى إمام عدل أحوج منكم إلى إمام خطيب .وإنّي آمركم بما أمر الله به ورسوله، وأنهاكم عما نهاكم الله ورسوله ، وأستغفر الله لي ولكم[2] "،اتسمت خطبته بالاقتباس من القرآن وفيها من البديع المقابلات[3]

ولما عقد البيعة معاوية لابنه يزيد قام الناس يخطبون ، فقال معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص: قم يا أبا أمية ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد : " أيّها النّاس إنّ يزيد أمل تأملونه ، وأجل تأمنونه ،طويل الباع ،رحب الذراع ، إذا صرتم إلى عدله وسعكم، وإن طلبتم رِفده أغناكم ،جَذَع قارح سوبق فسبق، وموجد فجد، وقورع فقرع ، خلف من أمير المؤمنين ولا خلف منه .فقال:اجلس يا أبا أمية ، فلقد أوسعت وأحسنت [4].وهاته الخطبة تدل على أنّ خلفاء بني أمية لديهم خطباء يساندون خلافتهم ، وهؤلاء امتازوا بفصاحة

---

[1] – ويبدو لنا أثر القرآن واضح في خطبته، وذلك في قوله جلّ ثناؤه: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾ ،والآية من الأنفال/24 .

[2] – الجاحظ ، البيان والتبيين ج1،ص: 14.

[3] – في قوله:آمركم بما أمركم الله ورسوله، تقابلها أنهاكم عما نهاكم الله ورسوله.

[4] –ابن عبد ربه ،العقد الفريد ، ج4، ص: 350 .

الكلمة وبلاغة الألسنة، وكمن بلاغتها في احتوائها على السجع [1]،والتجنيس [2]،وامتازت بقوة اللفظ وجزالته،وتوازن عباراته[3] .

خطب معاوية بن أبي سفيان ، حيث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته وقال: " أيّها الناس ، إنّي من زرعٍ قد استحصد ، وقد طالت عليكم إمرتي حتى مللتكم ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ، وإنّه لا يأتيكم بعدي إلّا من هو شرّ منّي ، كما لم يأتكم قبلي إلاّ من كان خيرا منّي ، وإنّه من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، اللّهمّ إنّي قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي "[4]، ثم نزل فما صعد المنبر حتى مات،وقيل أنها آخر خطبة خطبها معاوية ، إنّ خطبة معاوية بن أبي سفيان موجزة فهو لم يسهب فيه ولم يكثر الكلام فيها ،وفيها من البديع [5]والإنشاء [6] وحذف [7]والدعاء[8] مما أعطاها جمالا ورونقا.

---

[1] –في الباع،...الذراع، وفي:تأملونه،....تأمنونه.

[2] – في أجل وأمل وهو جناس ناقص،وكذلك تأملونه وتأمنونه.

[3]– في طويل الباع ،رحب الذراع.

[4]– أبو علي القالي ، الأمالي ،ج2، ص: 311 .

[5]– منه الجناس في مللتكم ومللتموني،تمنيت و تمنيتم ،فراقكم وفراقي،أحببت لقاءك أحبب لقائي ،والمقابلة في وإنّه لا يأتيكم بعدي إلّا من هو شرّ منّي ، كما لم يأتكم قبلي إلاّ من كان خيرا منّي .

[6] – ومنه النداء في " أيها الناس" ،والغرض منه لفت انتباه السامع.

[7] – حذف أداة النداء "يا " .

[8] – اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي،وهو دعاء مقترن بالطلب والغرض منه الرجاء .

*** من الولاة والقادة: 1. زياد بن أبيه**[1]:

يعد زياد من أبرع وأجود خطباء السياسة في حزب بني أمية ، ويليه الحجاج ابن يوسف الثقفي،ولزياد خطبة معروفة بالبتراء، «تعد أشهر خطبة سياسية أموية ،ألقاها في مسجد البصرة بعد أن تفاقم خطر الخوارج،وعاث اللصوص والخُرّاب في الأرض فسادا ، واختل النظام ....»[2].

فقال فيها: «أمّا بعد ، فإنّ الجهالة الجهلاء،والضلالة العمياء،والغيّ الموفي بأهله على النار،ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم ،من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ،والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السّرمدي الذي لا يزول .وقال فيها أيضا: « ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء،فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ....» [3]،إنّ خطبة زياد البتراء [4]خطبة بليغة.

---

[1] – تولى البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان،

[2] – محمد يونس عبد العال، في النثر العربي،ص:140.

[3] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي،ص:208 .

[4] – البتراء سميت كذلك لم يذكر اسم الله فيها .

اتسمت بدقة الأساليب [1]والألفاظ والوضوح ،وتميزت بالإيجاز[2] كذلك بضروب الأسجاع[3] وألوان البديع ،منه المقابلات [4].

2 - الحجاج بن يوسف الثقفي :

يمثل الحجاج بن يوسف حزب بني أمية ، وهو من أشهر خطباء السياسة في عهد الأمويين، عرف الحجاج بن يوسف بدهائه وقوة بطشه ، حيث" كان شديدَ البأس والبطش، خطيباً وداهية ، ولاّه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف ثم العراق ، حيث أخمد نار الفتنة "[5] ، وكان يعرف وسط الناس بعنفه وشجاعته ، وبلاغته وفصاحة لسانه ، وقوة حجته ، وسرعة بديهته ، لقد" كان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان

[1] – غلب على الخطبة الأسلوب الخبري ،والغرض منه التوكيد والإخبار ؛في قوله :إنّ الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء...

[2] – وصف زياد بن أبيه حال الحلماء والسفهاء بوصف موجز إذ أن الحلماء لهم ثواب كريم ،و السفهاء وصفهم بأن لهم عذاب أليم ،وكان الإيجاز واضح فاشتمل على وعد ووعيد ،واستعمل ألفاظ قليلة تدل على معان كثيرة.

[3] – فيظهر السجع في قوله: الجهلاء والعمياء،وهو سجع متوازي ،وهو كذلك في قوله "ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، " الصغير، ..الكبير." وكل منهم من السجعات القصيرة .

[4] – في قوله :ما فيه حلماؤكم تقابلها يشتمل عليه سفهاؤكم" ، و" الثواب الكريم لأهل طاعته " تقابلها " العذاب الأليم لأهل معصيته".والطباق في قوله: الصغير والكبير، وكذلك في الحلماء والسفهاء ، تقرءوا وتسمعوا .

[5] – معاذ السرطاوي ،، دراسات في الأدب العربي ،ط1 ، ص:54 و55 .

وقوة الحجة وشجاعا داهية عنيفا "[1] . وله خطبة سياسية مشهورة ، قالها عن أهل الكوفة:**أنَا ابنُ جَلَا وطلاّعُ الثَّنايا متى أضعُ العِمامةَ تَعرفوني** [2]

أما والله إني لأحمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ، وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق .

وإني والله يا أهل العراق ، ومعدن الشقاق والنفاق ، ومساوي الأخلاق ، لا يغمّز جانبي كتغماز التّين ، ولا يقعقع لي بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية القصوى .وإن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه عجم عيدانها ، فوجدني أمرّها عودا ، وأشدّها مكسرا ، فوجهني إليكم ، ورماكم بي ،فإنه قد طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن الغي ،وايم الله لألحونكم لحو العصا،ولأقرعنكم قرع المروة ، ولأعصبنكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضربه غرائب الإبل . أما والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق إلا فريت ، وإياي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات ، وقالا وقيلا ، وما يقولون ، وفيم أنتم وذاك ؟ والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده ، من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه ، وانتهبت ماله ، وهدمت منزله ، فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب ، فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولي العراق خير

---

[1] – السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، تح : يحي مراد ، ص:533 .

[2] – صاحب البيت الشعري هو سحيم بن وثيل الرياحي ،ويضرب هذا المثل للمشهور المتعالم ،وتمثل به الحجاج على منبر الكوفة،وقيل : ابن جلا الأمور وكشفها ،(الميداني، مجمع الأمثال،تح:محمد نحي الدين عبد الحميد ،ج1،ص:31.مطبعة السنة المحمدية، 1955).

ذكر[1].والخطبة تتنوع فيها الألوان البلاغية ، ففيها الاستعارات[2] والتي من خصائصها شرح المعنى وفضل الإبانة عنه وتشخيص المعنى وتجسيده ،والتشبيهات كذلك لها دور بالغ الأثر لأنها تجمع بين صوتين متباعدتين؛فالقصد من استعمال التشبيهات الإيضاح والتمثيل والبيان وترسيخ المعنى في النفس عن طريق تشبيه شيء معنوي بشيء محسوس ،وبالتالي هنا تتجسد بلاغة التشبيه ،والمقابلات [3]والأوصاف[4] والتجنيس [5]، والتضمين من الشعر [6].

---

[1] – ابن عبد ربه ، العقد ، ج4 ، ص: 115 و116 .

[2] – في قوله : "أحمل الشر بحمله " و " وأحذوه بنعله " ، و " وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها " ، معدن الشقاق والنفاق " ، "فررت عن ذكاء" ، نثر كنانته بين يديه "، " فوجدني أمرّها عودا "،أما التشبيه ففي قوله: ولا يقعقع لي بالشنان.

[3] – لقد أكثر الحجاج من التشبيهات في خطبته ، ومنها : "لا يغمز جانبي كتغماز التين " ،و " لألحونكم لحو العصا " ، و " ولأقرعنكم قرع المروة " ، لأضربنكم ضرب غرائب الإبل " .

[4] – والوصف المادي المباشر في قوله : وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق.

[5] – الجناس في قوله: يغمز تغماز و سننتم سنن وأعصبنكم عصب ، و أقرعنكم قرع وألحونكم لحو ،و أضربنكم ضرب.

[6]– استفتح خطبته ببيت من الشعر وذلك ليضرب به المثل للمشهور ،" أنا ابن جلا" أي أنا ابن الذي يقال له جلا الأمور وكشفها.والحجاج قاله في بداية كلامه ليريد به أنه على دراية تامة بأحوال سياسة المدينة وشؤونها، وأنّ الناس يعرفونه كلهم وهو في غنى عن التعريف بنفسه. (سليمان بن صالح الخراشي ، المنتقى من أمثال العرب وقصصهم ،ص: 13 ، ط1 ،دار القاسم، الرياض،2007) ،وتعني" الثنايا " ثنايا الجبال ومعناه أنا المشهور ،(العسكري ، جمهرة الأمثال ،تح:أحمد عبد السلام،وأبو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول، ج1،ص:35،دار الكتب العلمية،بيروت،1988) .

ج- خطابة الوفود:

خطابة الوفود [1] ،وهي التي كان خطباؤها يبرعون فيها ويجيدونها في المناسبات ويظهرون فيها مواهبهم وسلائقهم اللغوية في الخطابة .

إنّ موضوعها يتعلق بقضايا المجتمع والسياسة ، وقد "كانت خطابة الوفود جانبا من الجوانب التي أظهر فيها العرب فصاحتهم،وقد خطبوا كثيرا في أثناء وفادتهم ، وكانوا إذا ما ذهب وفد من إحدى القبائل إلى قبيلة أو إمارة أو دولة أخرى ،فإن رئيس ذلك الوفد أو أكثرهم بلاغة وبيانا كان يقف ليتحدث بلسان قبيلته أو جماعته ،موجها كلامه إلى مستقبليه من رؤساء القبائل أو الدول[2]"، وفي هذا الشأن قيل أيضا هي" التي كانت تمارس في المحافل والمناسبات الاجتماعية ، وهذا لما انتقلت حاضرة الخلافة الإسلامية من المدينة إلى دمشق في عهد بني أمية ،واستقرار دعائم الحكم ، واتساع رقعة المملكة الإسلامية ،فقد كانت وفود الناس تخرج من أطراف البادية إلى مقر الخلافة أو إلى العواصم التي بها مقر الولاة والحكام ،فتكون لهم بين يدي هؤلاء وأولئك خطب في موضوعات مختلفة من تعزية وتهنئة واستعطاء واستنجاد واستصلاح، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التي تتناسب مع مثل هذه المقامات " [3].لقد كانت ظاهرة الوفود مستمرة في عصر الخلفاء الراشدين و" كذلك كان معاوية ،بعد أن استتب له الحكم في الشام ،يستقبل الوفود أو يستقدمهم ،من

---

[1] – عرف هذا اللون من الخطابة عند العرب منذ الجاهلية ،وظلت الوفود مستمرة في عصر صدر الإسلام وبني أمية .

[2] – محمد يونس عبد العال ،في النثر العربي،ص:92.

[3] – أنور حميدو فشوان ، دراسات في عصور الأدب العربي ص: 188، ط1 ، خوارزم العلمية ،2006 .

أنصاره ومن أعدائه القدامى على السواء ..[1] وكثرت بشدة في عهد الأمويين بسبب استقرار الخلافة لهم .

بعض النماذج من خطابة الوفود :

دارت خطابة الوفود بين الإمام علي _ رضي الله عنه _ ومعاوية بن أبي سفيان .

أرسل الإمام علي رضي الله عنه وفدا من أصحابه إلى معاوية ومن بينهم بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري و سعيد بن قيس الهمذاني و شبث بن ربعي التميمي ، فقال لهم علي رضي الله عنه ." ائتوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه .فحمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ؛وأثنى عليه وقال:"يا معاوية ،إنّ الدنيا عنك زائلة و إنّك راجع إلى الآخرة ،وإن الله عز وجل محاسبك بعملك ،وجازيك بما قدّمت يداك ،وإنّي أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة ،وأن تسفك دماءها بينها "، فقطع عليه الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك ،فقال:أبو عمرة :إن صاحبي ليس مثلك ،إنّ صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر ...." قال فيقول ماذا ؟ قال :يأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ،فإنه أسلم لك في دنياك ،وخير لك في عاقبة أمرك [2].

[1] – محمد يونس عبد العال، في النثر العربي، ص:102.

[2] – أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ،ج1، ص:154.

مما ميز خطبة البشير بن عمرو أنها تشبه الخطب الوعظية ،ففيها من ألوان البديع[1] والأسلوب الإنشائي ومنه النداء[2] ،واستعمل الطباق[3] ،ونلمح كذلك السجع [4] .

وبعث معاوية إلى الإمام علي ــ رضي الله عنهــ وفدا (حبيب بن مسلمة الفهري،وشرحبيل ابن السّمط ،ومعن بن يزيد بن الأخنس) ،فقام حبيب خطيبا ؛فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أمّا بعد: فإنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهديا،يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ،وينيب إلى أمر الله تعالى، فاستنقلتم حياته،واستبطأتم وفاته ،فعدوتم عليه،فقتلتموه رضي الله عنه..." ، فقال له علي بن أبي طالب:" وما أنت لا أم لك والعزل،وهذا الأمر؟ اسكت،فإنك لست هناك ولا بأهل له "[5] . إنّ خطبة حبيب بن مسلمة استهل بالأسلوب الخبري[6] والغرض منه الإخبار والتأكيد،وفيها القليل من البديع[7] ؛وسبب ذلك أنه يرد الإقناع وإيصال المعنى .

---

[1] – إنّ هذا النوع من الخطب نجده يشتمل على عدة ألوان من البديع المختلفة والمتنوعة .

[2] – في قوله :" يا معاوية " وغرضه من ذلك أن يلفت انتباه الخليفة بأن الخطاب موجه إليه دون غيره.

[3] – لما ذكر الدنيا وأتى بضدها الآخرة ،

[4] – القصير في " إن الدنيا عنك زائلة، وإنّك راجع إلى الآخرة ،ونجده كذلك في ....عملك ،.....يداك .

[5] – أحمد زكي صفوت،جمهرة خطب العرب،ج1،ص:160.

[6] – فإنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهديا .

[7] – الطباق: حياته و وفاته .

4 – أساليب الخطابة ومميزاتها :

أ. أساليبها : 1– أسلوب السجع:

1 ـ **السجع لغة:** حمامة ساجعة وسجوع،وسجعت إذا رددت صوتها على وجه واحد،ورجل سجّاع وسجّاعة ،وكلام مسجوع ومسجّع ،وسجعه صاحبه وسجّعه وسجّع فيه،وهو أن يأتي بالقرينتين فصاعدا على نهج واحد [1] "

2.**السجع اصطلاحا** : له عدة تعاريف نذكر منها ما يلي :

يقال أنّ « السجع من الكلام أن تأتلف أواخر الكلام على نسق كما تأتلف القوافي [2]»

وهو « تقفية مقاطع الكلام من غير وزن [3] ».

ويعرف أيضا : « السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد والأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر [4]» .

يعد السجع من أبرز الظواهر البلاغية في الخطب بأنواعها ،وكان السجع عندهم طبعا وفطرة ،ولقد عرف عند العرب منذ الجاهلية واشتهر سجع الكهان وكان التكلف

---

[1] – الزمخشري،أساس البلاغة،تح:محمد باسل عيون السود، ج1،ص:439.

[2] – المبرد ،الكامل في اللغة والأدب،ج5،ص:241.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشي ،ج2،ص:269.

[4] – عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،ج4،ص81،مكتبة الآداب، القاهرة،1999.

واضحا في أسجاع الكهنة ،وبعد الإسلام نهى النبي ــصلى الله عليه وسلم ــعن هذا النوع من السجع إلّا أنه لم ينكره،وكان يأتي في كلامهم عفويا غير متعمدا،أما في عهد بني أمية فكان هناك من يتبع سجع الكهنة ؛ومنهم المختار الثقفي في خطبة[1] له لما تمت بيعته،وقيل أن أفضل السجع ما كان معتدلا متساويا،" واعلم أنّ الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام ،والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء ، والنفس تميل إليه بالطبع [2]"، والعرب الأقحاح القدماء لم يطلبوا السجع ولم يتخذوه مذهبا لهم في خطبهم وكتاباتهم،وإنما كانوا ينكرون من يسجعون عمدا ،" ولذلك أنكر عامل سجع الأعرابي حين شكى إليه بقوله :حُلِئَتْ ركابي ، وشققت ثيابي،وضربت صحابي،فقال له عامل الماء:أو تسجع أيضا؟ فقال له :فكيف أقول؟[3].

[1] – قال :" أما ورب البحار،والمهابة والقفار،والنحل والأشجار،والملايكة الأبرار،والمصطفين الأخيار،لأقتلنّ كلّ جبّار بكل لدن خطار،ومهند بتّار،حتى إذا أقمت عمود الدين،وشفيت غليل الصادقين من أولاد القاسطين،ونفيه المارقين ....."،(أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر بن محمد التميمي البغدادي،الملل والنحل،تح:ألبير نصري نادر،دار المشرق،بيروت،1986،ص:37.

[2] – ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ج1،ص:212.

[3] – عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،تح: محمود محمد شاكر،ص:13. مطبعة المدني،مصر،د ت ط .

وللسجع عدة أضرب منها : المرصع [1] و المتوازي [2] والمطرف [3] والمشطور [4]، وهو نوعان: سجع قصير وهو " ما تكون فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة من لفظتين مثلا أو ثلاثة إلى عشرة ، وآخر طويل وهو ما تكون فيه واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ كثيرة قد تصل إلى عشرين [5]" .

ويكمن السجع في معظمه في الخطابة الدينية الوعظية [6] ،ونذكر بعض الخطب المسجوعة ،ومنها خطبة سليمان بن عبد الملك بن مروان [7] :الذي قال فيها : " الحمد لله الذي ما شاء صنع ،وما شاء أعطى ، وما شاء منع ،وما شاء رفع ، أيّها الناس إنّ الدنيا دار غرور وباطل ،وزينة وتقلب بأهلها ، تضحك باكيها، وتبكي ضاحكها ، وتخيف

---

[1] – هو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والحرف الأخير .

[2] – أن تتفق اللفظة الأخيرة من المقطع الأول مع نظيرتها في المقطع الثاني .

[3] – وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، ينظر : السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ،في المعاني والبيان والبديع، ضبط:يوسف الصميلي،العصرية المكتبة، بيروت،1999 .

[4] – ويكون هذا الضرب من السجع في الشعر .

[5] – يوسف أبو العدوس ،مدخل إلى البلاغة العربية ، علم المعاني . علم البيان . علم البديع ،ط1 ص:290،دار المسيرة، الأردن،2007.

[6] – جعلها الإسلام جزءا من صلاة الجمعة والعيدين ، مكانها المساجد انتشرت في جل أنحاء الدولة الأموية ،واتجهت نحو وعظ الناس وإرشادهم،ونصحهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتذكيرهم بالآخرة وحثهم على تقوى الله ، و التزهد في الدنيا وذلك بأسلوب خطابي مؤثر ، ينتقي الواعظ من الألفاظ أجزلها ،ومن المعاني أكثرها تأثرا بالقرآن الكريم ،مضمنا آياته وحكمه ،ومن الخطباء الأعلام في هذا اللون "الحسن البصري "و"واصل بن عطاء" وخالد بن صفوان"، ينظر: أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، ص:20 .

[7] – هو الخليفة السابع للدولة الأموية ، تولى الحكم سنة 96 للهجرة ، لم تدم خلافته طويلا ، حكم الأمويين ثلاث سنوات .

آمنها، وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها ، وتفقر مثريها ،وميالة بأهله، عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فإنه ناسخ ما قبله ، ولا ينسخه ما بعده ، واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه ،كما يجلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر ، وإدبار الليل إذا عسعس " [1] .

إنّ هاته الخطبة ذات بلاغة وجودة براعة ، امتازت بمتانة السبك ، وأناقة اللفظ ،إذ ارتدت ألفاظها حلة جميلة ،وتزينت ببلاغة الذكر المجيد ، حيث تظهر الألفاظ القرآنية، والمعاني الإسلامية [2] وتميزت كذلك بجملها المسجوعة [3]،والتي أكسبت الخطبة تشكيلة صوتية تمتع النفس وتبهجها وتبعدها عن الملل والسأم،وامتازت كذلك بتوازن عباراتها[4]. وفيها من الأساليب الإنشاء[5] ومن البديع المقابلات في قوله:" تضحك باكيها، وتبكي ضاحكها ، وتخيف آمنها، وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها ، وتفقر مثريها" .

---

[1] – المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ج2، ط5 ،ص:175 ،دار الفكر ،بيروت ، 1972.

[2] – ومنها " الحمد لله" ، "ما شاء أعطى" و" ما شاء منع " ،"كتاب الله" ، "تخيف "، "تؤمن" ،"هاديا" ، "ناسخ" ، "كيد الشيطان" ،و "الصبح إذا أسفر" وهي مقتبسة من القرآن الكريم ، الآية من سورة :المدثر / 34 ،وإدبار" و "الليل إذا عسعس.

[3] – ويظهر السجع في :ما شاء منع وما شاء رفع وهو متوازي وقصير ومثله : (..باكيها،...ضاحكها ،....آمنها....خائفها،...فقيرها....مثريها) وسجعات قصيرة .

[4] – وما شاء منع،وما شاء رفع.

[5] – في قوله: "اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما " وكذلك :واجعلوه لكم هاديا،ونوعه :أمر،الغرض منه النصح والإرشاد.

وقريب من هذا نذكر خطبة الحسن البصري :

" يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا،ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا، يا بن آدم ، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، التواء هاهنا قليل ، والبقاء ههناك طويل ، أمتكم خير الأمم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون" [1].

إنّ خطبة البصري مبنية على جمل مسجوعة[2]، وعبارات دقيقة ، ومما يبدو لنا من خلال دراسة الخطب الوعظية ، أنّ موضوعها يدور حول التزهيد في الدنيا، وأنّ صورها متكررة من زوال الدنيا وغرورها ، وبقاء الآخرة ، فالدنيا متاع يباع لتشترى به الآخرة، وهاته الخطب الوعظية تأتي في أغلبها خطبا مسجوعة[3] ،ولعل سبب ذلك تأثر الخطباء بهدى

[1] – أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب،ج2،ص:485.

[2] – الجمل المسجوعة هي :....تربحهما جميعا ،.....جميعا .وكذلك في" .... فيه،....عليه"وفي "....قليل،.....طويل" ونجده كذلك في ...الأمم،.....أمتكم.

[3] – وللإمام علي خطبة خطبها للتزهيد في الدنيا يقول فيها: " إنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ،وإنّ الآخرة قد أشرفت وأقبلت بإطلاع ،وإنّ المضمار اليوم والسباق غدا ،ألا إنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد حسن عمله ،وما قصر أجله ومن قصّر في أيام أمله خسر أجله ،ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون في الرهبة ،ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها " ،و العبارات المسجوعة مثل ":" إنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ،وإنّ الآخرة قد أشرفت وأقبلت بإطلاع " وهو سجع مطرّف وهو سجع قصير (المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج2 ،ص:143).

القرآن الكريم[1]، وتعاليم الرّسول صلى الله عليه وسلم،و لذلك اتخذهما الخطباء الوعاظ منبعين أساسيين لوعظ عامة الناس بالمواعظ الحسنة ،كما أن ذلك التأثر أكسب الخطب الوعظية أسلوبا لينا وبليغا بآيات القرآن المجيد .

2 ـ أسلوب الازدواج (المتوازن):

والازدواج عند علماء البلاغة هو " تجانس اللفظين المتجاورين نحو:من جد وجد ومن لجّ ولج[2] "، وغالبا ما يكون هذا النوع من الأسلوب مصاحبا للسجع ،ويكون في الخطابة السياسية بشكل خاص،كما برز هذا الأسلوب بشكل خاص في كتابات عبد الحميد الكاتب ورسائله . ومن أبرز الخطب في الازدواج[3] نذكر خطبة الحجاج بن يوسف يتهدد أهل العراق فيها:

"أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه،ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله،...إنّ للشيطان طيفا، وللسلطان سيفا ،ومن سقمت سريرته صحت عقوبته ،ومن

---

[1]– و من بين الذين يظهر تأثرهم بالقرآن الكريم نجد الخليفة عمر ابن عبد العزيز ؛ومن خطبه له خطبة قالها لما مات ابنه عبد الملك : " الحمد لله الذي جعل الموت حتما واجبا على عباده ، فسوّى فيه بين ضعيفهم وقويّهم ، ورفيعهم ودنيّهم ، فقال تبارك وتعالى : " **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ** "(آل عمران /185) ، فليعلم ذوو النّهى منهم أنّهم صائرون إلى قبورهم مفردون بأعمالهم ، واعلموا أنّ لله مسألة فاحصة ، قال تبارك وتعالى : **"فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)** " (الحجر / 92 و 93) ،المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ص: 216 .

[2] – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ،ص:330.

[3] – ونلاحظ الازدواج في خطبة الحجاج السياسية المشهورة التي استهلها ب " أنا ابن جلا" ،كنا قد عرضنا الخطبة سابقا في هذا الفصل ص:34،ويوجد في قوله:أما والله ،إني لأحمل الشر بحمله ،وأحذوه بنعله ،وأجزيه بمثله" ونلمح كذلك الأسلوب المسجع المزدوج في : "إني والله يا أهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق ".

وضعه ذنبه،رفعه صلبه،ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة،إن الحزم والعزم سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي [1]".

إنّ فواصل الخطبة متوازنة [2]ومزدوجة ،ممّا أعطاها رونقا جميلا،وتناغمت جملها كونها شملت على سجعات متنوعة ،وبعض الطباق[3]، والتجنيس[4]، ونلمح أن الخطبة موجزة .

ب) ـ مميزات الخطابة:

ومما تميزت به خطابة الأمويين الفصاحة وجودة القريحة،وهذا من صميم البلاغة العربية القديمة ،فالعسكري [5]يرى أن "أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان...وذلك من فعل الله تعالى لا يقدر العبد على اكتسابه " ،فمن مقومات البلاغة الطبع والفطرة أو الموهبة .

ونجد الخطباء في هذا العصر ساروا في خطابتهم على ما كان عند الجاهليين ،و بعد ظهور الإسلام بدا أثر القرآن الكريم واضحا في كلام الأمويين ، ومن أهم ما اتسمت به الخطابة عذوبة ألفاظها و سهولة أسلوبها وانتهاجها منهج القرآن في الإرشاد والإقناع.ويُروى عن العرب أنّ ما تحتاجه الخطبة رباطة الجأش وسرعة البديهة ، وفصاحة اللسان ،وتوفر

---

[1] – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج2،ص:292.

[2] – التوازن في معظم جمل الخطبة ،ويظهر بارزا في "إن للشيطان طيفا" و" للسلطان سيفا " ومن وضعه ذنبه،رفعه صلبه .

[3] – منه: داؤه ودواؤه .

[4] – والتجنيس في ثقل وثقله .

[5] – الصناعتين، ص:30 ،ط2، دار الكتب العلمية ،1989.

عنصر البيان ،والاستشهاد بالقرآن ،وفي هذا الشأن يرى "الراغب الأصفهاني"[1] أنّه:"يجب أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح ،قليل اللحظ متخير اللفظ ، جهير الصوت،وأن يضع في صدر كل خطبة من النكاح والعيد والصلح ما يدل على عجزها ، وأن تكون فيها آيات وإلا كانت شوهاء" ،ويذكر قدامة بن جعفر أنّ من أوصاف الخطابة "أن تفتح الخطبة بالتحميد والتمجيد ،وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال ،فإن ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها ،ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله في أولها البتراء ،وكل خطبة لا توشح بالقرآن والأمثال الشوهاء ،ولا يتمثل في الخطب الطوال التي يقام بها في المحافل بشيء من الشعر، فإن أحّب أن يستعمل ذلك في الخطب القصار والمواعظ والرسائل فليفعل" [2].

وعرف العرب قديما ببراعتهم في الخطابة على غيرهم من الأمم ،و قد صرّح الجاحظ ذلك بقوله:" وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر ، وله أقهر ،وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع ،وخطباؤهم للكلام أوجد ،والكلام عليهم أسهل ،وهو عليهم أيسر"[3].

---

[1] – الراغب الأصفهاني ،محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: رياض عبد الحميد مراد ،ط1،ج1 ،ص:279، دار صادر ، بيروت،2004.

[2] – قدامة ابن جعفر ، نقد النثر، ص:95،المكتبة العلمية ،بيروت،1980.

[3] – الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح : موفق شهاب الدين ، ج2 ، ص: 28 ، ط2 ،دار الكتب العلمية بيروت ، 2003.

يرى الجاحظ أنّ العرب لديهم القدرة والشجاعة على الكلام ،وحظهم من البيان أوفر،وأنهم يجيدون اللغة من غير تكلف و لا صنعة ، فالكلام الفصيح والبليغ فطروا عليه .

كما أنّ الخطباء العرب تميزوا بالقدرة على تصنيف الكلام وتمييزه ،ومعرفة جيده من رديئه ،ومعرفة القواعد التي تجرى عليها الخطب ،وإن لم تكن مدونة مقروءة، إلّا أنهم تعارفوا عليها وتداولوها فيما بينهم من فترة الجاهلية إلى عهد الأمويين ،ومن مثل ذلك ما تحدث عنه ابن المقفع في الابتداءات أو الافتتاحات وما يجب أن تكون عليه :" وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أنّ أبيات الشعر ،البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته "[1] ،ويبدو أن الجاحظ علقّ على قول ابن المقفع وفسرّه وشرح مقصده ،وضرب له أمثلة، فقال: "كأنه يقول:فرّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك ،ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت،والغرض الذي إليه نزعت [2]"، فكلام الجاحظ هنا يشير به إلى ما يسمى بحسن الابتداء وهو ما يجيده البليغ ، ومن الابتداء ما هو قبيح،ويرى أن الابتداءات تختلف من خطبة إلى خطبة فمن يكون في الوعظ ليس كمن يخطب في السياسة وفي خطب النكاح.

[1] – الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ،تقديم: صلاح الدين الهواري،ج1،ص:141.

[2] – الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح:موفق شهاب الدين ، ج1، ص:116.

الفصل الثاني

ملامح البلاغة في كتابة الرسائل

1 – مفهوم الكتابة وتطورها :

أ – مفهوم الكتابة :

1 – المفهوم اللغوي :

وهي من مادة (ك ت ب) ، "وكتب بمعنى خطّ ، والكتابة أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجما ، فإذا أدّاه صار حرا [1]،والكتاب ما كُتِب فيه "، وهذا يقصد به أنّها بمعنى خطّ أي دوّن والكتاب هو الذي ندوّن فيه .

وقال أيضا "ورجل كاتب والجمع كُتاب وكتبة ، وحرفته الكتابة ، وقال ابن الأعرابي : والكاتب عندهم العالم" [2].وربما يقصد ابن الأعرابي بالعالم أن يكون الكاتب على دراية تامة بعلوم اللغة من بلاغة ونحو وصرف ، وأن يكون حافظا للقرآن العزيز، ومُلّمًا بالأحاديث الشريفة ، و عارفا بأنساب العرب وحافظا لأشعارهم ،وأمثالهم ،وحكمهم وخطبهم .

وجاء في مقاييس اللغة[3] أنّ " الكاف والتاء والباء " أصل صحيح واحد،يدل على جمع الشيء إلى شيء،من ذلك الكتاب والكتابة،يقال:كتبت الكتاب وأكتبه كَتْبا "

---

[1]– ابن منظور ، لسان العرب ،تح: عامر أحمد حيدر ،مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم ،ج1 ، ص: 822 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2003 .

[2] – المصدر نفسه ، ج1،ص:822.

[3]– ابن فارس،ج5،ص:158.

2 – **المفهوم الإصطلاحي للكتابة** :

وللكتابة عدة مفاهيم تطلق عليها ،" ومن معاني الكتابة التدوين والتوثيق والنقل والتسجيل والتأليف والإنشاء "[1].

الكتابة لفظ تعددت معانيه [2]،وتنوعت، ولكنها تصب في حقل واحد ،ألا وهو حقل الإنشاء والكتابة، فالكتابة وسيلة لتدوين الدواوين و توثيق النصوص وتأليف المؤلفات وإنشائه.

ومن التعاريف أيضا :" المكاتبة وتعرف أيضا بالمراسلة ،هي مخاطبة الغائب بلسان القلم ،وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث إنها ترجمان الجنان ،ونائب الغائب في قضاء أوطاره ، ورباط الوداد مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هي المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما " [3].

[1] – فخري خليل النجار، الأسس الفنية للكتابة ، ص: 75.

[2] – تعدد المعاني واشتراكها في الألفاظ من أهم مميزات اللغة العربية .

[3] – السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، تح: يحي مراد ،ص: 46.

ب – تطور الكتابة :

إنّ الذين يعرفون القراءة والكتابة عند العرب في الجاهلية كانوا هم معظم الناس، أما الذين يتقنون الكتابة فهم قلة ،وكانوا يستخدمونها في العقود والمواثيق والمعاملات ، « (ف) لولا الخطوط لبطلت العقود والشروط والسجلات والصكاك، وكل إقطاع وكل إنفاق وكل أمان وكل عهد وعقد ، وكل جوار وكل حلف ، ولتعظيم ذلك والثقة به و الاستناد إليه كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للأمر وتبعيدا من النسيان »[1]، و لم تكن هناك رسائل أو كتابات فنية وذلك لارتباط الكتابة آنذاك بأغراض اجتماعية كالعهود والمواثيق و عقود البيع والتجارة وتسجيل الديون وإبرام المعاهدات والأحلاف وما إلى ذلك .

أمّا في صدر الإسلام فإنّ الكتابة كانت ناشئة مبتدئة ،ليست لها تقاليد مرسومة أو قواعد محكمة ، كان العرب المسلمون يكتبون مراسلاتهم إلى الولاة والقضاة وقادة الجند وسائر الأمم عبر ديوان يسمى "ديوان الإنشاء" ولو نظرنا إلى بداية الكتابة والتدوين عند العرب لرأينا الكُتّاب يُعدّون على أصابع اليد، بالرغم من كون العرب فصحاء بلغاء ،لأنّ اللغة كانت سليقة على الألسن ، فالكتابة فهي بحاجة إلى تعليم ودربة ومران ومعرفة أشكال رسم الحروف والتصاقها وأبعادها وطرائق علاقاتها بغيرها.وقد روي أنّه كان في مكة قبل مجيء الإسلام سبعة عشر كاتبا وفي المدينة أحد عشرة

[1] – الجاحظ ، الحيوان ،تح : عبد السلام محمد هارون ، ج 1 ، ص : 69.

كاتبا.وبعد غزوة "بدر" طلب الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أسرى "بدر" أن يعلّم كل منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة [1].

كان الرسول "صلى الله عليه وسلم" يملي ما كان يخطر بباله ،لذلك كانت لغته صريحة،وقد اتخذ الخلفاء الراشدون من رسائله فيما بعد تقليدا ، فرضوا على أنفسهم إتباعه ،إلا أن ذلك التقليد ظل دينيا أكثر من أن يكون أدبيا .

ولذلك أشاد الإسلام بفضلها ،" فأخذ يحضّهم على تعلّم الكتابة وعلى العلم والتعلّم"[2] ،فأعطاها الله جلّ شأنه وعلا مرتبة رفيعة ، وذلك منذ نزول أول آية قرآنية على الرسول ــصلى الله عليه وسلم ــ،فقال سبحانه وتعالى :﴿ **اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ اَلاَكْرَمُ (3) الَذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)** ﴾[3] .

وهاته الآيات من الذكر الحكيم فيها أمر من الله عزّ وجل إلى رسوله الكريم يأمره فيها أن يتعلّم القراءة والكتابة ، والأمر لا يخص به الله جلّ وعلا المصطفى ــصلّى الله عليه وسلم ــ ، وإنّما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فنظر الإسلام إلى الكتابة نظرة تشريف ، إذ رفعها للقمة ، والهدف من ذلك تسهيل المعاملات بين الناس ، كما أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم بدأ يحضّ الصحابة رضوان الله عليهم على تعلمها، وحرص عليهم أشدّ الحرص، لما لها من أهمية كبيرة في حياة المسلمين، فانتشرت الكتابة بينهم ،

---

[1] – فخري خليل النجار . الأسس الفنية للكتابة والتعبير، ط1 ،ص: 75 ،دار صفاء ، 2007 .

[2] – شوقي ضيف ،العصر الإسلامي ،ص: 451.

[3] – سورة العلق / 1 إلى 5 .

وكان هدفه من ذلك تدوين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وتدوين أشعار العرب في الجاهلية وأخبار الأمم السابقة ، ولهذا السبب "كانت كتابة الرسائل عند العرب أفضل مراتب الكتابة "[1] .

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله عزّ وجّل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ** ﴾[2].

والكتابة في الآية الكريمة تعني أن ندوّن و نوثق ، و أمر الله عباده بالكتابة أثناء معاملاتهم من دين وعقود ومعاهدات وغيرها .واشترط الله سبحانه وتعالى العدل في الكتابة ،فلا يكون الكاتب ظالما .

كما وردت في قوله تعالى : ﴿ **وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2)** ﴾[3] . ومعنى " مسطور" أي أنّه مخطوط أو مدوّن فسطر بمعنى خطّ وكتب.

إنّ الكتابة التي نحن بصدد دراستها الكتابة الفنية ،ويعني ذلك أنها المتعلقة بكتابة الرسائل بأنواعها الديوانية والإخوانية أو ما يسمونها بالشخصية .

---

[1]- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج4 ،ص: 82.

[2] - سورة البقرة/ 282 .

[3] - سورة الطور/ 1و2 .

ومما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :" **إذا كتب أحدكم كتابا فليتربه** [1]، **فإنّه أنجح للحاجة** "[2] .رواه أبو داوود .

و الذي نفهمه من حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم ،أنّ الواجب على الكاتب أن يكون متواضعا في كتابه .

وكادت الكتابة ترقى رقيا عظيما في عصر بني أمية ، لقد أخذ الأدباء والكتاب عن الذين سبقوهم من العصرين الجاهلي والإسلامي ، كما نجدهم يأخذون من الثقافات الأجنبية وذلك لمعرفة شؤون الأمم المفتوحة من آراء في السياسة والحكم ، ونظمها السياسية والاجتماعية والأخذ منها حسب الحاجة .

وقد نمت الكتابة في العصر الأموي نموا واسعا ، إذ عرف العرب فكرة الكتابة ، إذ ألفوا كتبا كثيرة ، شملت كل من قصص الأنبياء وأخبار شعوبهم وتحدّثوا عن الملوك الأوائل ، كما كانت هناك رسائل سياسية تصدر عن دواوين الخلفاء والولاة أو عن خصومهم، ورسائل اجتماعية يتبادلها الناس في أمور حياتهم الشخصية ، ورسائل دينية.

إنّ الكتابة نعمة من نعم الله عزّ وجل ،خصّ بها عباده الذين اختارهم لتأديتها على أكمل وجه،" ولا شك أنّها من الله تبارك وتعالى هبة وإلهام ،وزيادة فيمن خصّ بها من الأنعام ،لا تتعاطاها الأفهام ،ولا ينفك بابها من استغلاق ،واستبهام ،ومازال حاملها

---

[1] – والمراد بالتتريب المبالغة في التواضع.

[2]– شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، وضعه : أحمد عناية ،ج1،ص: 58 ،ط1 ،دار الكتب العلمية،بيروت ، 2005.

للدولة قلبا ،ولرحاها قطبا " [1] .والذي يراه الأديب إلهام أي إنّها فطرة فطرهم الله عليها، وطبع وسجية دعائمها السليقة والملكة اللغوية ،أساسها فصاحة اللسان وبلاغة البيان.

2) ـ فن الرسائل و أنواعه :

أ – الرسائل :

تعد الرسائل أو الترسل من « الفنون القولية ذات الأهمية البالغة في حياة الأفراد والشعوب ، وكان للحضارة العربية الإسلامية نصيب وافر من العناية بهذا الفن ،عبر العصور المختلفة، وفي شتى البلدان والدول »[2] ، وتنوعت الرسائل وتعددت أغراضها، حيث ازدهرت الرسائل الديوانية على يد عبد الحميد الكاتب في آخر عهد بني أمية، وكثرت الرسائل المتبادلة بين الخلفاء والولاة والأمراء ،وهناك الرسائل الخاصة أو ما يسمى بالإخوانيات ، التي تتضمن شكرا أو تعزية أو تهنئة .

ولقد كانت مواضيع الكتابة تدور حول أخبار العرب الجاهلية وأيامهم ،وفي هذا قال شوقي ضيف[3] ،" وكان من أوائل ما عنوا به من معارفهم العربية الخالصة أخبار آبائهم في الجاهلية وأنسابهم وأشعارهم "، وهذا على غرار تدوين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وأخبار الفتوحات الإسلامية والخلفاء الراشدين ، وخلفاء بني أمية و في هذا

---

[1] – أحمد بن علي الفهري الشريشي ، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تح: حياة قارة ، ج1،ص :147 ،أبو ظبي ،2004.

[2] – محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي ،ص:161.

[3] – شوقي ضيف ،العصر الإسلامي،ص:451.

العصر اشتهر "عبد الحميد الكاتب " بكتابته للدواوين وابن المقفع بترجمته [1]للكتب من الفارسية إلى العربية.

في عهد الأمويين تقلّد مناصب الكتابة مجموعة من الموالي، "ويبدو أنّ التوسع في الدولة الإسلامية ،وعظم عمرانها ،وتباين الأقوام فيها وتشعب الأعمال أمامهم ، شغلتهم عن مباشرة الكتابة بأنفسهم ، ولذلك أسندوها إلى من يقوم بها من العرب الذين تثقفوا بثقافات الأمم الأخرى في مواطن التحضر،ومن الموالي الذين حذقوا اللغة العربية مع حذقهم لثقافات لغاتهم الأصلية " [2] . إنّ الأمر الذي استدعى خلفاء بني أمية ، من إسنادهم شؤون الكتابة إلى الموالي ، أنهم انشغلوا بالأمور السياسية والحكم ،ومن الكتاب الذين أبدعوا في كتابة الدواوين، والرسائل نجد سالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد بن يحي الكاتب ،وهو زعيم الكتاب في عصره ، يعد أبلغهم وأفصحهم[3] .

[1] – ومن كتبه المترجمة: آيين نامه (ويتحدث فيه عن عادات الفرس) ، وخداي نامه (أو السير الفارسية)، وكليلة ودمنة وهو كتاب مشهور ، ترك أثرا كبيرا في الآداب العالمية.

[2] – حميد آدم الثويني ، فن الأسلوب ،دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية ، ص: 147 ، ط1 ، دار صفاء ، عمان، 2006.

[3] – من أبرز كتبه التي تميزت بالبلاغة كتابه المشهور الذي يوجه الكتاب إلى صناعة الكتابة " رسالته إلى الكتاب"

ب- أنواع الرسائل:

1 ـ الرسائل الديوانية :

ويطلق عليها أيضا الرسائل الرسمية ، "ونعني بها الرسائل الخاصة بشؤون الدولة في الداخل والخارج ،والديوان مصدرها وموردها ولهذا سميت "الرسائل الديوانية" ، بدأت برسائل الدعوة إلى الإسلام والأحلاف التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وكذا كتب الأمان والعطاء ورسائل صدر الإسلام عموما كانت تبتدئ بالبسملة ثم السلام وبالتحميد ،ثم يأتي بعدها تعابير من قبيل : "من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله ، أو من أمير المؤمنين، وقد تبدأ الرسالة باسم رسول الله مباشرة مثل "هذا كتاب من محمد رسول الله " وإذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم فإن خير ما تستهل به "سلام الله عليك "، أما إذا كانت موجهة لغير مسلم فإن ما تستهل به " السلام على من اتّبع الهدى " وتأتي بعد السلام مباشرة :التحميدات مثل : "فإنّي أحمد الله أو أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو " وقد يرد فيها ذكر التشهد أيضا أو يكتفي فيها بعبارة : أمّا بعد [1]. وكانت تميل إلى الإيجاز أيام الخلفاء الراشدين والاقتباس من القرآن الكريم.

لقد كانت الرسائل موجودة منذ الجاهلية كما ذكرنا ، ولما "اقتضت الدعوة الكبرى نظام الرسائل فنشأت على نمط جديد ،وقلت الأمية لحاجة الدين إلى الكتابة

[1]- ينظر: عمر عروة ، النثر الفني القديم ، ص: 38

وتشجيع النبي عليها بعد موقعة بدر،ونقل الدواوين كلها إلى العربية " [1]، وهذا لأن اللغة العربية أصبحت لسان الأمة الإسلامية في كل بيئة فتحها المسلمون أثناء الفتوحات الإسلامية .

و لم يتغير شيء في فن الرسائل الديوانية على عهد الخلفاء الراشدين ،وانتهجوا نهج النبي صلى الله عليه وسلم و"حينما آلت الخلافة إلى بني أمية ، اتجه معاوية إلى جعلها ملكا وراثيا في أبنائه ، واقتضى ذلك بعض التنظيمات الإدارية الدائمة دوام الملكية ، ومنها شؤون الكتابة"[2]،وهو الأمر الذي جعل حركة تدوين الرسائل في عصر بني أمية تتسع شيئا فشيئا ، وأصبح لكتابة الرسائل ما يسمى بالديوان، " وقد خصّ المسلمون الرسائل الرسمية بديوان سموه ديوان الرسائل ، ثم تطور فيما بعد إلى ديوان الإنشاء ، بعدما تعددت مهماته ،وأصبح لا يقتصر على كتابة الرسائل فحسب "[3] ، وتعددت ميادين الكتابة ومجالاتها وموضوعاتها(سياسية واجتماعية وإخوانية)، واختلفت عما كانت عليه ،"ولا نشك في أن القوم دوّنوا جملة رسائلهم السياسية ،وكذلك الشأن في رسائلهم الوعظية والشخصية "[4]. .

---

[1]- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي،ص:95.

[2] - محمد مندور، الأدب وفنونه، ص:06.

[3] - عبد الحليم حسين الهروط ، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (المضمون والأهمية والشكل)، ص: 38 ، ط1 ، دار جرير ، الأردن ، 2006.

[4]- شوقي ضيف، العصر الإسلامي،ص: 455.

2 ـ تفضيل كتابة الإنشاء عن كتابة الحساب:

تنوّعت الكتابة وقسّموها إلى قسمين كتابة الرسائل وكتابة الأموال ، واعتبرت كتابة الإنشاء والرسائل أفضل مراتب الكتابة ، « اعلموا أنّ صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ، وقلم المكاتبة خاطب ، وقلم الحساب حاطب وأساطير البلاغات تنسخ لتدرس ، ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس ، والمنشئ جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار ، ونجيّ العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة...»[1] .يبيّن الحريري في المقامة الفراتية أنّ صناعة الإنشاء ذات رتبة عالية ، ومكانة رفيعة عن صناعة الحساب ، فالإنشاء يتميز بالبلاغة والفصاحة وذلك ابتغاء دراسته وتدوينه ،"فالمنشئ كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالي كاتب الحساب بما كتب وكون حاطب بمعنى مجمع المال "[2] ، كما أنّ الحريري شبّه المنشئ بالحقيبة ، التي نحتفظ فيها بأغراضنا ، وكُتّاب الدواوين يملكون يقين الأخبار وهم حفظة الأسرار كونهم لسان الدولة ، وهم الذين يحادثون العظماء ويخاطبونهم ويجالسونهم ، ويكتبون عن لسانهم ، وشبّه كذلك قلم المنشئ بفارس الجولة لأنّ كلا منهما يكون سببا في النصر والهزيمة ، فالمنشئ أيضا يتمتع بالحكمة وهو ترجمان غيره ، فهو يعبر عن كلام غيره.

---

[1]- أبو القاسم محمد الحريري ، مقامات الحريري ، تقديم : مختار نويوات ،ج1 ، ص:322و323 ،موفم للنشر،الجزائر ، 2007 .

[2]- أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي ،شرح مقامات الحريري ، وضع : إبراهيم شمس الدين ،ج2، ط 2، ص:137 و138 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2006 .

3 ـ بعض المظاهر البلاغية الموجودة في الرسائل والمكاتبات :

أ) ـ الاقتباس والتضمين :

1 ـ مفهوم الاقتباس :

الاقتباس في اللغة مأخوذة من مادة (قبس)،ويقال " هذه حمى قبس لا حمى عرض ،أي اقتبسها من غيره ولم تعرض له من تلقاء نفسه "[1].

ويعرف علماء البلاغة الاقتباس بقولهم:" أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"[2] ، كقول الحريري :﴿ كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب﴾[3].

وعرف كذلك "هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية ،أو آية من آيات كتاب الله خاصة ،والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام :مقبول ،مباح،ومردود،فالأول ما كان الخطب والمواعظ ،والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص، والثالث على ضربين :أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه،والآخر تضمين آية قرآنية كريمة في معنى هزل "[4].

---

[1] – الزمخشري ،أساس البلاغة،تح: محمد باسل عيون السود، ج2،ص:47.

[2] – القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة،اعتنى به: محمد الفاضلي،ص:406 .

[3] – تضمين لآية من القرآن الكريم ،سورة النحل/77.

[4] – ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح :عصام شعيتو ،ج2،ط1 ،ص:455 دار الهلال ، بيروت،1987.

2. **مفهوم التضمين :**

أ- **التضمين في اللغة:**

من مادة (ضمن) ،ويقال : "ضمن الوعاء الشيء وتضمّنه وضمّنه إياه ،وهو في ضمنه ،وضُّمن كتابه وكلامه معنى حسنا " [1] .

وقيل في مفهوم " ضَمَنَ " أنها " جعل الشيء في شيء يحويه ، من ذلك قولهم ضمّنت الشيء إذا جعلته في وعائه " [2] .

ب- **التضمين في الاصطلاح :**

وهو " أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء ، وأحسن وجوه التضمين :أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الأصل بنكتة كالتورية والتشبيه [3]".

وقال ابن رشيق القيرواني[4]:" التضمين هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه " .

---

[1] - الزمخشري، أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود،ج1، ص:587.

[2] - ابن فارس، مقاييس اللغة ،ج3،ص:372.

[3] - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ،ص:411.

[4] - ابن رشيق ،العمدة ،ج2،ص:84.

3 – الاقتباس في بعض المكاتبات والردود في السياسة:

ونجده فيما كتبه معاوية [1] إلى الإمام علي_ رضي الله عنه _ يطلب فيه تسليمه قتلة عثمان ، ويرفض فيها بيعته له ويهدده بالحرب والقتال، فيقول : " فأمّا ما لا تزال تمن به من سابقتك وجهادك فإني وجدت الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا، قُلْ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمُ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [2]. ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتنانا على الله بعلمها ، وإذا كان الامتنان على الله يبطل أمر الجهاد [3]ويجعله ﴿ **كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[4].

---

[1] – كتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ،و معاوية بن حديج الكندي بمصر ، وكانا قد خالفا عليا ، فقال لهما : فإن الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ورفع به ذكركما وزينكما به في المسلمين ،طلبكما بدم الخليفة المظلوم وغضبكما لله إذ ترك حكم الكتاب، وجاهدتما أهل البغى والعدوان ،فأبشرا برضوان الله وعاجل نصر أولياء الله ، والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى ينتهى في ذلك ما يرضيكما ونؤدي به حقكما إلى ما يصير أمركما إليه ، فاصبروا وصابروا عدوكما ، وادعوا المدبر إلى هداكما وحفظكما .. "، ويظهر التضمين في قوله " اصبروا وصابروا ،و معظم ألفاظ الكتاب فيها تضمين لألفاظ من القرآن الكريم،ينظر: (محمد رضا ، تراجم الخلفاء الراشدين، تح: محمد أيمن الشبراوي، ص:622، دار الحديث ،القاهرة،2004).

[2] – ضمّن معاوية كتابه بآية قرآنية لتعزيز فكرته ، مما أدى إلى انسجامها وتناسقها ،والآية من سورة الحجرات /17.

[3] – ابتسام مرهون الصفار ، أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن 1 هـ ،ص : 300 .

[4] – أنهى الخليفة معاوية كتابه بتضمين آية قرآنية أخرى من سورة البقرة /264، وهو بذلك يمثل حالة الإمام علي _رضي الله عنه _بحالة مشابهة ونجده يستطرد بالآية الكريمة « كمثل صفوان ...»

ردّ الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ: على رسالة معاوية بكتاب يضمنه أربع آيات قرآنية ، وذلك ليتحدث عن قرابته للنبي صلى الله عليه وسلم وأفضليته لهذه القرابة بقوله تعالى:﴿ **وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ** ﴾[1] ،

وبقوله تعالى أيضا : ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُ وَالَذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُومِنِينَ** ﴾[2] ، وحين يتحدث عن مقتل عثمان يذكر معاوية فيقول :ثم ذكرت ما كان عن أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه ، فأين كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله ، أمّن بذل له نصرته ، فاستقعده واستكفه ، أم من استنصره فتراخى عنه، وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه ؟ كلاّ والله ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَاتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾[3]

*** كتاب المهلب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي :**

ويذكر فيها : " فقد كان من أمرنا قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرّنا منهم أكثر ممّا يسوءنا ، ويسوءهم منّا أكثر ممّا يسرّهم على اشتداد شوكتهم(...) ،

---

[1] – إنّ الآية التي استهل بها الإمام علي كتابه يحتج بها على قضية مختلف فيها (أحقيته في خلافة المسلمين لقرابته بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ) ،وهو بذلك أراد أن يطالب بمبايعته ،والهدف من تضمينه الآية الكريمة الاحتجاج والإقناع ، وهي من سورة الأحزاب/6.

[2] – تضمين الآية كان ليدعم الفكرة المراد منها الوصول إلى الهدف الذي يبتغيه ،وهي من سورة آل عمران /68.

[3] – ضمن الإمام بآية يريد منها أن يبلغ معاوية أن الله سبحانه وتعالى عالم بكل ما يحدث و كل من يعترض طريقه للوصول إلى الملك ، ولم يجد كلاما يأسر الآذان و يؤثر في القلوب كالذي يحدثه كلام الله من تأثير في أنفسنا ، سورة الأحزاب/18.

وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله ﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ [1] .

استعمل المهلب _فيما كتبه إلى الحجاج_ مختلف ألوان البديع [2]، والجناس [3] ،والتضمين [4].

*** فكتب إليه الحجاج [5] :**

أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد فعل بالمسلمين خيرا ، وأراحهم من حدّ الجهاد وكنت أعلم بما قِبلك ،و﴿الحمد لله ربّ العالمين ﴾[6]، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم ، ونفّل النّاس على قدر بلائهم ، وفضّل من رأيت تفضيله ، وإن كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بإزائهم،(...)، ولا ترّخص لأحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم عليّ ، وعجّل القدوم إن شاء الله [7].

---

[1] – سورة الأنعام/45.

[2] – ومن مظاهر البلاغة أيضا المقابلة وهي تدخل ضمن علم البديع ، في قوله :" يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا" و "يسوءهم منا أكثر مما يسرهم.

[3] – ومما نجد من مظاهر بلاغية أخرى من ألوان علم البديع : الجناس وهو في قوله: السواد والسواد .

[4] – ضمّن كتابه بآية من القرآن الكريم،وكان اختيارهم للآيات القرآنية موفقا ،وكان التناسق والانسجام بين مكاتباتهم والآيات، والهدف من تضمينه التأثير في النفوس .

[5] – و للحجاج رسالة كتبها إلى زعيم الخوارج قطري بن الفجاءة ،ومنها :"فإنك مرقت من الدين مروق السّهم من الرمية ،وقد علمت حيث تجرثمت ،وذلك أنك عاص لله ولولاة أمره ..."،ويجيبه قطري بكتاب منه: " سلام على الهداة من الولاة ،الذين يرعون حريم الله ،ويرهبون نقمه ..." (ينظر :الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2،ص: 310).

[6] – نجد الحجاج يضمن كلامه بآية قرآنية ، يحمد الله ويثني عليه ،سورة الفاتحة /1.

[7] – المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ،تح: محمد أحمد الدالي ، ج3 ، ص: 195 .

ونجد الأمويين ينهلون من القرآن ويقتبسون منه في مختلف كتاباتهم ورسائلهم[1] ، وحتى في خطبهم ، وذلك لتأخذ كاتباتهم الطابع الإسلامي ، و يعد القرآن الكريم المصدر الأول الذي يتجهون نحوه،وذلك لخلق جو ديني في كتاباتهم ،وكما يقول الجاحظ في هذا الشأن:« وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل في الكلام يوم الجمع آي من القرآن فإنّ ذلك يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع [2] »

4- التضمين من الشعر في كتاباتهم :

كان التضمين من الشعر له نصيب في كتاباتهم ، ومن ذلك نذكر ما كتبه معاوية بن أبي سفيان إلى الحسن ــرضي الله عنهــ : "أما بعد : فإنّ الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب،فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاعٍ من النّاس،وأْيَسْ من أن تجد فينا غميزة،وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني،وفيت لك بما وعدت،وأجريت لك ما شرطت،وأن أكون في ذلك كما قال أعشى ابن قيس ابن ثعلبة :

وإنْ أحد أسدى إليك أمانة فأوفِ بها تُدعى إذا مُتَّ وافيَا

ولا تحسُدِ المولى إذا كان ذا غنىً ولا يجفهُ إن كان في المالِ فانيَا

---

[1] – وجه محمد بن الحنفية كتابا إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، لما قتل ابن الزبير وكان فيه : " إني اعتزلت الأمة عند اختلافها ، فقعدت في البلد الحرام الذي من دخله كان آمنا ، لأحرز ديني وأمنع دمي ، وتركت الناس ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً** ﴾ ، و يضمن كلامه بآية قرآنية ، ليصور بها حال الناس أحسن تصوير ،فالآية من سورة الإسراء/ 84 ،المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ،تع : محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج3، ص:195.

[2] – الجاحظ، البيان والتبيين ،تح : عبد السلام محمد هارون ،ج1،ص:118.

ثم الخلافة لك من بعدي ،فأنت أولى الناس بها ،والسلام [1]".

ضمّن الخليفة معاوية كتابه بأبيات من شعر الأعشى ،وذلك ليشبه حاله بمثل ما قاله الشعر عن الأمانة والوفاء ،وغرضه كان إقناع الحسن ــ رضي الله عنه ــ بمبايعته،وتضمن الكتاب أيضا بعض الأساليب الإنشائية [2]، وقليل من السجع[3] .

ومن المكاتبات التي ضمنها أصحابها البيت من الشعر ، نذكر كتابا لعبد الله بن الزبير الذي بعثه إلى عبد الله ابن العباس: " أما بعد: فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصرين، فتفتيهم بالجهل،تعيب أهل العقل والعلم ،وإن حِلمي عليك،واستدامتي فيئك،جرّآك عَلَيَّ،فاكفف ــلا أبا لغيركــ من غربك،واربع على ظلعك ،واعقل إن كان لك معقول،وأكرم نفسك ،فإنّك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا،ألم تسمع قول الشاعر: فنفسك أَكْرِمهَا فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مُكرِمَا [4]

لقد ضمن ابن الزبير كتابه بيتا شعريا ،وهو عبارة عن حكمة نسبت لحاتم الطائي ، واستعمل الإنشاء[5] والبديع[6] والبيان [7] .

---

[1] – أحمد زكي صفوت ،جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:17.

[2] – منها : الأمر في قوله: احذر والغرض منه :النصح والإرشاد وكذلك التحذير.

[3] – وفيت لك بما وعدت،وأجريت لك ما شرطت، وهو سجع قصير متوازي .

[4] – أحمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:127و128.

[5] – ومنه الأمر في :واربع على ظلعك والغرض منه الاحتقار والإهانة، لأن الربع للبعير .والأمر كذلك في " واعقل"والغرض منه التقليل من شأنه، والأمر كذلك في " فاكفف" و "أكرم نفسك".

[6] – منه الطباق: الجهل وضده العلم.

[7] – العصرين كناية ،فهو يقصد بالعصرين البكرة والعشية .

ب) ـ الإيجاز والإطناب :

1 . الإيجاز :

أ ـ **مفاهيمه :**

وللإيجاز[1] عدة مفاهيم متشابهة ، نذكر البعض منها :

عرِّف بقولهم :" اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل ،أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف وافٍ بالمراد لفائدة [2] .

وقيل عنه :"هو حذف زيادات الألفاظ ،وهذا نوع من الكلام شريف ، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة[3] "، كما يظهر أنّ الإيجاز يشمل أهل البلاغة فهو من صميم البلاغة العربية ،وبسبب ذلك " اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيرا ،فإنّهم كانوا إذا قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ استغنوا بواحدها عن ألفاظ كثيرة "[4] .

ووضع علماء البلاغة للإيجاز حدا " هو دلالة اللفظ على المعنى ، من غير أن يزيد عليه "[5]، والإيجاز كما تدل عليه الكلمة من معنى ،هو ضد الإطناب والتطويل .

---

[1] – الإيجاز في اللغة بمعنى التقصير الاختصار .

[2] – يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية،ص:118.

[3] – ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2،ص:255.

[4] – ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب،ص:247.

[5] – ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج2، 259.

ويقال عن الإيجاز أن : " من شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز ،وحذف فضول الكلام ، حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة "[1].

يبدو أنّ الرسائل كانت لها بعض المميزات والخصائص ،التي اتسمت بها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ،إذ نجد أنها "تتميز بالوضوح وتحري الإيجاز والدقة في التعبير،وظلت رسائل النبي والخلفاء مثالا يحتذى به عند بعض كتاب الدواوين في العصر الأموي والعباسي ، على حين أخذ بعض الكتاب يميلون إلى الإطالة والإسهاب والمبالغة في التأنق"[2]. ويقصد ب " الوضوح والإيجاز" تمام البلاغة ، فهي تقتضيهما معا ،أمّا في العبارة الأخيرة فلعلّه يريد بذلك "عبد الحميد الكاتب" فهو من أطال التحميدات وأسهب في

كتاباته ، وعبد الله بن المقفع . « ولم يزل أمر المكاتبات في الدولة الأموية جاريا على سنن السلف إلى أن ولى الوليد ابن عبد الملك ،فحوط القراطيس ،وجلل الخطوط وفخّم المكاتبات ، وتبعه من بعده من الخلفاء إلا عمر بن عبد العزيز ويزيد ابن الوليد ،فإنهما جريا في ذلك على سنن السلف ثم جرى الأمر من بعدهما على ما سنه الوليد [3]".

ولذلك تبقى ظاهرة الإيجاز تتماشى ومقتضى الحال ،فلكل مقام مقال،فلا يجدر بنا أن نسهب إذا تطلب الموضوع الاختصار والتقصير .

---

[1] – ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ط1،ص :205، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1982 .

[2] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج:4 ، ص: 82.

[3] – القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابة الإنشا ،ج6،ص:391، المطبعة الأميرية، القاهرة،1915.

ب ـ الإيجاز في كتابات الأمويين ورسائلهم:

ونجد الإيجاز في كتابات عمر بن عبد العزيز ،الذي قال عنه الثعالبي :" لم أسمع أحسن وأوجز من قوله :أن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما "[1].

ويكون الإيجاز بشكل خاص في الرسائل الوعظية ،والتي موضوعاتها تشبه موضوعات الخطابة الوعظية[2] ،لقد " أثرت عن بعض الوعاظ والقصاص منذ عصر الخلفاء الراشدين، المواعظ البليغة والقصص البديعة ، وكانوا يعظون أو يقصون في المساجد أو في مقدمة الجيوش الفاتحة[3] " ،ولم تكثر الكتابات فيها لاهتمامهم بنشر الدعوة الإسلامية ، " وقد شاعت الرسائل الوعظية منذ العصر الأموي ،كتبها الوعاظ والنساك إلى الساسة من الخلفاء والأمراء والولاة وغيرهم،يحثونهم على التمسك بالمثل الدينية السامية ،ويوجهونهم إلى الخير ،ويذكرونهم بزوال الدنيا ونعيمها » [4] .

تنوعت كتابات الأمويين واختلفت ، فمنها إلى الولاة ،و الوعاظ ، ومن مكاتباتهم إلى الحكماء نذكر ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري ، وذلك حين كتب الحسن إليه: « إنّ فيما أمرك الله به شغلا عما نهاك عنه، والسلام. وكتب إليه عمر بن عبد العزيز :« اجمع لي أمر الدنيا وصف لي أمر الآخرة » ، لقد تميز كتاب عمر إيجاز

---

[1] – أبو منصور الثعالبي،الإعجاز والإيجاز ، تح: اسكندر آصاف ، ط1، ص :65،المطبعة العمومية ، مصر ،1897.

[2]– تدور موضوعاتها حول التزهيد في الدنيا (مثلا : ذكر الموت ، الجنة و النار)،والوعد والوعيد و الترغيب والترهيب.

[3] – محمد يونس عبد العال، في النثر العربي،ص:187.

[4] – المرجع نفسه ،ص: 189.

شديد فهو طلب منه أن يصف له أمر عظيم و هو وصف الدنيا والآخرة ، ولم يجعل في كتابه حشوا أو تطويلا ،فهو إيجاز قصر [1].

فكتب إليه الحسن :« إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط .ونحن في أضغاث أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ،ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضلّ، ومن حلُم غنم ، ومن خاف سلم،ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه»[2] .إن رسالة عمر وعظية موجزة [3]، وهي آية في البلاغة والأناقة، وعلى الرغم من قصرها إلا أن فيها من البديع كالطباق[4]، والجناس والتكرير[5]،تلونت بالمقابلات[6] والسجع[7]، ومن البيان فيها التشبيه[8] .

---

[1] – وهو ما دل لفظه على محتملات متعددة ، (ابن الأثير، المثل السائر، ج2،ص:21) .

[2] – ابن عبد ربه ، العقد ، ج3 ، ص: 94، وينظر : مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز،ص:140 ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1995.

[3] – وله كتاب موجز وجهه إلى عامل حمص يطلب حاجتها إلى حمص، فردّ عليه بقوله: " حصّنها بالعدل والسلام"، وهو بهذين اللفظين قد جمع معاني كثيرة بقليل من اللفظ، ينظر: الثعالبي ،الإعجاز والإيجاز ،ص:65.

[4] – قوله"الدنيا" و"الآخرة ".

[5] – في " صف لي أمر".

[6] – في قوله " إنما الدنيا حلم" ، و "الآخرة يقظة "، و كذلك من "حاسب نفسه ربح " و " من غفل عنها خسر".

[7] – السجع القصير المتوازي فيما قاله الحسن البصري: " ومن حلُم غنم ، ومن خاف سلم ".

[8] – في " إنما الدنيا حلم"، وهو تشبيه بليغ حذفت أداته، شبه الدنيا بالحلم ، وكأنه يقول: الدنيا مثل الحلم أو كالحلم .

أما الأساليب تنوعت بين الخبر والإنشاء [1] ،ونجده يكثر من أسلوب الشرط[2] .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أيضا: أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل، وكتب إليه عمر :" أما بعد ، فكأن آخر ما كتب عليه الموت قد مات، والسلام"[3].

ومن كتب الحسن البصري الموجزة [4] أيضا :" أما بعد :يا أمير المؤمنين ،فإنّ طول البقاء إلى فناء ،فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى ، والسلام "[5] ،فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال :"نصح أبو سعيد وأوجز "[6] ،أكثر الحسن من البديع في رسالته ،ومنه الطباق في البقاء والفناء ،والمقابلة في" فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى " .

[1] – الأسلوب الخبري في "إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة ..."،والإنشائي منه الأمر في" اعلم أن أفضل..."غرضه النصح والإرشاد .

[2] – من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ،ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضلّ، ومن حلُم غنم ، ومن خاف سلم ،ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، وغرضه من استعمال الشرط ذكر الأفعال ونتاجها وعواقبها.

[3] – ابن عبد ربه ، العقد ج3 ،ص :93.

[4] – في الوعظ :" أما بعد ،فلو كان لك عمر نوح ،وملك سليمان ،ويقين إبراهيم ،وحكمة لقمان ،فإن أمامك هول الموت،ومن ورائه داران ،إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه "،أحمد زكي صفوت ،جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:333.

[5] – أحمد زكي صفوت ،جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:332.

[6] – إن كتاب الحسن البصري كان بسبب طلب عمر بن عبد العزيز لينصحه فيه ،فكان موجزا ،ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة.

2. الإطناب:

أ – مفاهيمه : 1- في اللغة :

من الفعل أطنب وعرفوه بأنه " مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال أطنبت الريح إذا اشتدت في هبوبها ،وأطنب في السير إذا اشتد فيه " [1] .

وعُرف الإطناب أيضا ب " البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذما ،وأطنب في الكلام بالغ فيه، والإطناب المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه "[2] .

2- في الاصطلاح:

تعددت مفاهيمه[3] ، ومنها نذكر مايلي:" هو تأدية المعنى بألفاظ أكثر منه لفائدة تراد، وإلا كانت الزيادة حشوا وتطويلا [4] "، للإطناب حدّ يميزه عن الحشو والتطويل ،إذ أنه يقال :" هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"،و أن التطويل هو" زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة .

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر، ج2،ص:343.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مج 1 ،ط1،ص:562،دار صادر ، بيروت،1990.

[3] – ب " زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي ،لغاية الفائدة،ينظر : يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية،ص:128.

[4] – مصطفى الصاوي الجويني ، البلاغة العربية _ تأصيل و تجديد _،ص:43، منشأة المعارف، الإسكندرية ،1985.

ب ـ الإطناب في الرسائل الإخوانية[1] :

رسالة الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :

" أما بعد ، فإنا نخبر أمير المؤمنين أنه لم يصب أرضنا وابل منذ كتبت أخبره عن سقيا الله إيانا ، إلا ما بل وجه الأرض من الطّش والرّش والرّذاذ[2] ، حتى دقعت[3] الأرض واقشعرت واغبرّت ، وثارت في نواحيها أعاصير تدور دقائق الأرض من ترابها ، وأمسك الفلاحون بأيديهم من شدة الأرض واعتزازها وامتناعها ،(....)، وكتبت إلى أمير المؤمنين وهي ترمي بمثل قطع القطن ، قد ملأ اليباب ، وسدّ الشّعاب ، وسقى منها كل ساق ، فالحمد لله الذي أنزل غيثه، ونشر رحمته ، من بعدما قنطوا ،وهو الولي الحميد . والسلام " [4].

---

[1]– وهذا النوع من الرسائل كان موجودا في الجاهلية ،إلا أنه " لم يصل هذا الفن شيء من العصر الجاهلي رغم معرفة العرب المبكرة للكتابة وأما في صدر الإسلام فنجد رسالة واحدة إخوانية للنبيّ صلى الله عليه وسلم يعزي فيها معاذ ابن جبل لما توفي ابنه ،وفي عصر الأمويين،"شاعت الكتابات الشخصية ،بحكم تباعد العرب في مواطنهم ،وبتأثير الظروف من موت يقتضي التعزية أو ولاية تقتضي التهنئة ،أو شفاعة عند والٍ لقريب أو صديق ، أو عتاب أو اعتذار"، ينظر : شوقي ضيف ،العصر الإسلامي،ص:463 ،و" ترتبط موضوعاتها ارتباطا لصيقا بما يدور بين الناس من عواطف المودّة والإخاء ..." ،ينظر:(محمد يونس عبد العال، في النثر العربي،ص185).وما وجد من رسائل شخصية في العصر الأموي قليل ،"وطبيعي أن لا يعنى أصحاب هذه الكتابات بتسجيلها ،لأنها لم تكن تتصل بحياة الأمة، وكانت "رسائل هذا العصر محكمة الفكرة بسيطة اللغة صريحة الأسلوب ، لا ترمي إلا إلى الإفهام دون تجميل ، وقد تطورت فيما بعد وأصبحت تتناول موضوعات كثيرة تتعلق بشؤون الحياة "،(محمد مندور،الأدب وفنونه ، ص: 06).

[2] – يظهر الإطناب في استعماله كلمات " الطش و الرش والرذاذ" وتحمل كل منهم معنى واحد وهو المطر القليل .

[3] – دقعت الأرض واقشعرت بمعنى خلت من النبات وتجمعت .

[4]– الجاحظ ، البيان والتبيين ،تح:موفق شهاب الدين، ج4 ، ص : 99 و100 .

يتحدث فيها عما أصاب البلاد من القحط، ثم ما رزقهم الله به من مطر وخصب،ويظهر في أسلوب رسالة الحجاج التكلف في التصوير والتنميق واستعماله للسجع[1] ،والتجنيس[2].

4 ـ الفرق بين أسلوب الكتابة و أسلوب الخطابة:

يوجد فرق شاسع بين الخطابة والكتابة ، وما يستدعي ذلك الظروف الاجتماعية والسياسية وحالة الخطيب النفسية . فالخطيب في إلقائه يتحدث إلى الجماعة ويواجههم بصفة مباشرة، ولذلك عليه أن يراعي مقتضى الحال وأن ينصب اهتمامه إلى استمالة السامعين ولفت انتباههم ، أمّا الكاتب فيكون على انفراد ، ولا يواجه القارئ إلّا بما كتبه إليه ، وهذا لا يكون إلا إذا قرأ المتلقي الرسالة .

ومما قيل في المكاتبة والمخاطبة نذكر: " الكتاب يُتَصفَح أكثر ممّا يتصفّح الخطاب، لأنّ الكاتب متخيّر،والمخاطِب مضطّر ، ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أأسرعت فيه أم أبطأت ، وإنّما ينظر أأخطأت أم أصبت ، فإبطاؤك غير قادح في إصابتك، كما إن إسراعك غير مُغطٍّ على غلطك [3]" ، فكل من الكتابة والخطابة لهم أشدّ الوقع على الغير ، فالكتاب الذي نكتبه يكون له أوفر الحظ من المطالعة والتفّحص

---

[1] – السجع في:ترابها ...امتناعها (سجع مطول) ، في ملأ اليباب، وسدّ الشعاب (وهو سجع قصير).

[2] – التجنيس :في قوله : الطش و الرّش.

[3] – أبو إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ،تقديم : صلاح الدين الهواري ،ج1،ص:149.

من الذي نرويه شفاهية ،إلا أن الكاتب أثناء كتابته قد يكون منفردا ،وحرّا في اختيار ما يكتبه من ألفاظ، أما الخطيب فهو في إلقائه لخطبته يكون مضطرا ، لأنه أمام ملأ من الناس يواجههم بشكل مباشر، فعليه أن يراعي حالته التي يكون عليها .

يختلف أسلوب الخطابة كثيرا عن أسلوب الكتابة ، فالخطاب الشفوي ليس كالكتابة، إذ أن مخاطبة الناس تقتضي ألفاظا، تؤثر في نفوس المستمعين ،وهذه الألفاظ والتعابير تختلف باختلاف طبيعة الخطبة ونوعها ،فالخطب الدينية والوعظية هدفها الوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ولذلك يكون أسلوبها ليّن وواضح، عباراتها مستمدة من الكتاب والسنة.

والمراد من هذا القول أنّ هناك بعض الأنواع من الخطب ، التي تحتاج إلى المنطق، وذلك حين يخاطب العقل ، فلا بد للخطيب أن يكون موضوعيا و يستخدم الحجج العقلية والبراهين .

وقيل عنها كذلك :" المكاتبة وتعرف أيضا بالمراسلة ،هي مخاطبة الغائب بلسان القلم ،وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث إنها ترجمان الجنان ،ونائب الغائب في قضاء أوطاره ،ورباط الوداد مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هي المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما " [1].

[1] – السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، تح: يحي مراد ،ص: 46.

والذي نفهمه أنّ الكاتب وهو يكتب رسالته ، يوجه خطابه إلى المرسل إليه،فالرسالة ترجمان القلوب ، تعبر عمّا بداخل المرسل ،ومن خلالها يقضي حاجاته ، كما أنّها وسيلة اتصال بين الناس في مختلف البقاع ، ولابد لنا أثناء تواصلنا مع غيرنا من مراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة للمتكلم، وتتميز بأسلوب سهل بعيد عن التكلف والزخرف اللفظي ، ويجب أن يكون كلامها واضح العبارة ، تراكيبه صريحة ، فعليه أن يراعي مقتضى الحال فلكل مقام مقال ، والإيجاز، فلا يطيل حتى يمل المرسل إليه ، فبلاغة كتابة الرسائل تستند إليهما معا ، ولذلك قيل : " يكفي من حظ البلاغة ألّا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع ،وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة " [1].

ومن هنا كانت البلاغة أن يهدف الكاتب والخطيب إلى إيصال فكرته ، وأن يسعى وراء ذلك بغية إفهام السامع لما كتبه دون إسهاب ممل ولا إيجاز مخل .

ومن مميزات أسلوب الكتابة "الاقتصار في أغراضها على القدر الضروري لدولة عربية ، والاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق ، وتوضيحها بلا مبالغة ، ولا تهويل ، واستعمال الألفاظ الفحلة والعبارة الجزلة والأساليب البليغة ، إذ كان الكاتب والمكتوب إليه عربا فصحاء"[2] ،ويريد بذلك أن تكون الكتابة قد شملت كل الحقائق، وتقوم بتوضيحها بدون مبالغة ،وأن يستعمل فيها ألفاظ عربية تمتاز بالفحولة ،وأن تكون عباراتها جزلة ،

---

[1]- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ط1 ، ص: 61 .

[2]- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، تح: يحي مراد ، ص:537.

وتتسم أساليبها بالبلاغة والفصاحة . لأنّ البلاغة والفصاحة من أهم ما يتصف العرب عن غيرهم من العجم.

وقيل في اختيار الألفاظ والمعاني: " فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقّد ، مغرقا في الإكثار والتكلف ، فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسق له القول ، وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة ، فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغوا وظرفا خاليا [1].

*** صفة الكُتّاب :**

لا بد أن تكون هناك سمات تميّز الكاتب عن الخطيب والشاعر ، " من صفة الكاتب اعتدال القامة ،و صغر الهامة ، وخفة اللهازم[2] ، وكثافة اللحية ،وصدق الحسّ،ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وحسن الإشارة ، وملاحة الزيّ ،حتى قال أحد المهالبة [3]لولده :تزيّوا بزيّ الكتّاب ، فإنّ فيهم أدب الملوك ، وتواضع السُّوقة ، وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة أن يكون الكاتب : نقيّ الملبس ، نظيف المجلس، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة [4]" .يجب على الكاتب أن يكون واضحا في كلامه ، صافي الذهن ، و ساحر البيان ، فطن في كتابه ، نظيف في لباسه ، أمّا "حسن البيان قالوا هو عبارة عن

---

[1]– الجاحظ، رسائل الجاحظ ،الرسائل الأدبية، تح:علي بوملجم، ص:206، دار الهلال ،بيروت ،2004.

[2] – واللهازم هو عظم ناتئ في اللحي تحت الأذن.

[3] – والمهالبة صفة منسوبة إلى المهلب بن أبي صفرة.

[4] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج4 ، ص: 163.

الإبانة عما في النّفس ، بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس ، إذا المراد منه إخراج المعنى إلى الصورة الواضحة ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأسهل الطرق ، وقد تكون العبارة تارة من طريق الإطناب ، بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها[1] ". ولذلك اشترط حسن البيان في الكاتب ، فهو من آلات البلاغة ، وهو أن يعبر الكاتب عمّا في نفسه بأيسر الطرق وأوضحها .

وفيما يحتاجه الكاتب في الكتابة أن يعلم " أنّ الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة وآلات كثيرة من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعاني....والمعرفة بصنعة الكلام وهي أصعبها و أشدّها "[2] .

الكتابة عند الأمويين كانت مبنية على الطبع والسجية ، وكانت كتاباتهم غالبا ما تبدأ بحمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم .

5 ـ أسلوب الرسائل :

تميزت كتابات بني أمية بالإيجاز المفهم ، والأسلوب البليغ . الذي يؤدي معناه ويوضح مبناه، كما أنها اتسمت بالسهولة والوضوح ، والابتعاد عن التكلف والغموض .لأن غايتهم من الرسائل المتبادلة بين الخلفاء وولاتهم تنظيم شؤون الدولة ، والتحكم في أمورها

---

[1] – ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، شرح: عصام شعيتو ، ج2 ، ص: 482، ط 1 ،دار الهلال،بيروت، 1987 .

[2] – العسكري ، الصناعتين ،ص:171.

السياسية."فقد طبع على الإرسال ،والإيجاز المحكم ،فلا حشو ولا فضول،ولا استطراد ولا تفريع وهذا ما كانت عليه اللغات السامية قاطبة قبل اختلاطها ...." [1].

لقد انقسمت الكتابة الفنية على عهد بني أمية إلى عهدين هما : فالقسم الأول منها حسب ما أورده الدكتور عبد المنعم خفاجي " العهد الأول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكانت الكتابة فيه تسير على نمط صدر الإسلام من الإيجاز والوضوح والسهولة والبساطة وقلة التكلف أو الصنعة . وكانت تصدر غالبا عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين رسائل الولاة .أما " العهد الثاني من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة، وقد أخذت الكتابة في هذا العهد تتدرج في التأنق وأساليب البيان والصنعة والإطناب ، وكان زمام الكتابة بأيدي الموالي وأولهم سالم مولى هشام ابن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحي الكاتب وابن المقفع فاحتفلوا بالكتابة وتأنقوا فيها وظهرت عليها الصنعة وغلب عليها الإطناب وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التي كانت للخطابة [2].

ومما استنتج عن كتاب الدولة الأموية " أنهم هؤلاء جنحوا ببلاغتهم نحو هذا اللون من البيان وقد خلت رسائلهم من محسنات البديع التي يميل إليها أهل الحضر ومن ثم طبعت على البساطة،فلا مبالغة ولا تهويل ،ولا تصنع ولا تكلف اللهم إلا ما جاء عفو الخاطر من سجع أو ازدواج أو غيرهما من ألوان البديع [3] ، والمقصود من هذا كله أن الطابع الذي طبعت عليه رسائل عصر بني أمية السهولة واليسر والابتعاد عن التكلف والزخرف

[1] – محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي،ص:65.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي ،الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ،ص:316.

[3]– ينظر: محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي،ص:64.

اللفظي الذي اتسمت به كتابة الرسائل بعد هذا العصر ،واتسعت مدارس الكتابة وتنوعت فمنها مدرسة الترسل الطبيعي (من أشهر أعلامها عبد الله ابن المقفع)ومدرسة الترسل الصناعي (ومن أعلامها عبد الحميد بن يحي المعروف بالكاتب)ونجد أيضا في عهد بني العباس مدرسة التحليل والاستقصاء (من أعلامها الجاحظ) ومدرسة السجع والبديع (رائدها ابن العميد الذي انتهت به الكتابة)[1].

لقد تغيرت أنماط الكتابة وأساليبها [2] ،"وكان لتحضر المجتمع وتأثر الأمويين بغيرهم من الأمم الأخرى كالفرس والروم أثر كبير في تطور الإنشاء والنهوض بأصناف الكتابة في شتى النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، فقد طال الإنشاء وتنوع وصار الخلفاء يتخيرون للكتابة أبلغ المنشئين ولم تنقض الدولة الأموية ، حتى صار للكتابة الإنشائية فيها مثال يحتذى به وتقليد يُتّبع [3] ،وبالتالي فإن الكتابة أخذت تنحو منحى غير الذي عرفت به عند الخلفاء في أوائل عهد بني أمية ، وبدأ ذلك الاتجاه يأخذ مساره لما غلبت على الكتابة نوع من الصنعة التي أثرت عن الكتاب ،"وذلك يدل على أنهم فهموا أن الكتابة فن له قواعد وأصول "[4] .

---

[1] – ينظر المرجع نفسه ، ص: 129 إلى غاية ص:155.وذلك للتعرف على هذه المدارس بالتفصيل .

[2] – تنوعت الأساليب عما عهدها العرب عليه من أسلوب السجع وأسلوب الازدواج(اعتمده عبد الحميد الكاتب) إلى الأسلوب المرسل (المطلق) وهو أسلوب الإنشاء (فلا سجع ولا ازدواج فيه ،وهذا الأخير اعتمده عبد الله ابن المقفع) .

[1] – عمر عروة ، النثر الفني القديم ، أبرز فنونه وأعلامه ، ص: 38 .

[4] – ينظر : زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري،ص:60.

الفصل الثالث

الامتزاج الثقافي وأثره في أساليب النثر الأموي

1 – أثر الامتزاج الثقافي في النثر الأموي:

لقد تأثر النثر في عهد بني أمية تأثرا كبيرا بسبب انتشار الأحزاب السياسية[1]،والصراع الذي كان قائما بين العرب والموالي من الفرس ،وكذا اختلاط العرب بالأعاجم وامتزاج ثقافتهم بالثقافات الأجنبية [2]أثناء الفتوحات ، مما أدّى به إلى التغير في بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ، والتي أثرت بدورها في النثر في عهد بني أمية .

أ. أثر الثقافة الإسلامية :

يمثل القرآن الكريم مصدرا أساسيا من مصادر الثقافة العربية [3] الإسلامية، و كان أثره واضحا في نثر بني أمية [4] ، وذلك بعد ظهور الإسلام ، إذ إنه أحدث تغييرات شملت حياة العرب من مختلف النواحي الاجتماعية والدينية والأدبية ،" فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين في حياتهم ، وقد أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله منجّما متتابعا ، أفحم الفصحاء وأخضع أعناق البلغاء ، وهو المنبع الأصيل والمنهل الصافي ، وكتاب العرب

[1] – الزبيريون والشيعة والخوارج .

[2] – الثقافة الفارسية واليونانية والهندية.

[3] – تظهر الثقافة العربية عند الأمويين في الاستشهاد بالشعر الجاهلي وأمثال العرب وأشعارهم،ومثال ذلك ما استهل به الحجاج خطبته المشهورة في أهل العراق " **أنا ابن جلا** " وهو بيت شعري عبارة عن مثل .

[4] – كنا قد تحدثنا في فصل سابق عن الاقتباس من القرآن الكريم ،والذي نجده في مختلف فنون النثر من خطب ورسائل .

الخالد، والإنسانية المعجز" [1]. وهو يعد مصدرا أساسيا لكل العرب في مختلف الأزمنة والأمكنة ، فهو كلام الله عزّ وجلّ .

بدت المعاني الإسلامية واضحة في خطب [2] وكتابات بني أمية عموما، وخصوصا ما تسمى بالخطب الوعظية ، وهذا إن دل على شيء إنّما يدلّ على الثقافة الإسلامية ، التي تمتع بها الخطباء الأمويين ، " وقد كان للقرآن أثر كبير في العالم الأدبي ،والعلمي فقد وحّد اللغة العربية وحفظها ووسع نطاقها ، وعمل على تليينها وتهذيبها ، ثم إنّه كان أساس العلوم اللغوية والبيانية عند العرب ، وهو أبدا المثال الأعلى في البلاغة والفصاحة[3]" ، حيث أخذ الأمويون يجعلونه أساسهم لتعزيز خطبهم وكتاباتهم لتضمينها آيات قرآنية ،ليكتسب نثرهم بذلك بلاغة تشبه بلاغة كتاب الله في استمالة النفوس .

ونشهد أثر الثقافة العربية الإسلامية كذلك في رسائل الكتاب من الموالي أمثال عبد الحميد الكاتب[4] ، وهو من أبرز الكتاب وزعيمهم.

---

[1] – حمودي زين الدين عبد المشهداني ، الدراسات اللغوية خلال القرن 4 هـ ، ص: 17 ، ط1 ، دار الكتب العلمية، لبنان،2005 .

[2] – خطب الوعظ والإرشاد ،والخطب السياسية .

[3] – أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص:336 .

[4] – تظهر الثقافة الإسلامية عند عبد الحميد في تحميداته ،حيث نجده في فتح يعظم فيه أمة الإسلام بالنبي ــ صلى الله عليه وسلمــ وفيه :" أما بعد: فالحمد لله الذي اصطفى الإسلام دينا ، رضى شرائعه ،وبيّن أحكامه،ونوّر هداه ثم كنفه بالعزّ المؤيد ..."، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:470.

كما لا ننسى صديق عبد الحميد الكاتب ،الذي أخذ عنه تقاليد الكتابة وهو عبد الله ابن المقفع [1] .

ب ـ أثر الثقافات الأجنبية:

1ـ الثقافة الفارسية:

لقد اتسعت رقعة المملكة الإسلامية اتساعا كبيرا ، وذلك بدخول أفراد من أمم مختلفة في الإسلام وذلك أثناء الفتوحات ، " وأدخلوا رقيق الحروب في ولائهم "[2]و أصبح الموالي ينتسبون لمن يؤثرون من القبائل العربية ، وأضحى العرب والموالي يعيشون حياة مشتركة ، ويتحدثون لغة واحدة (العربية)، "وكان اهتمام العرب بلغتهم ، باعتبارها صارت لغة القرآن العزيز ، فانتشرت في كل بقعة ، وقعت فيها سنابك خيل العرب"[3].

[1] – يظهر تأثره في كلامه عن الحسد لما قال :"الحاسد لا يزال زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالا ومكدّرا على نفسه ما به من النّعمة فلا يجد لها طعما ، ولا يزال ساخطا على من لا يترضاه ، ومتسخطا لما ينال ، فهو مكظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بمظلوم ، محروم الطلّبة ، منغّص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قُسم له يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب . والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرا للسرور ، ممهلا فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص، ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيرا له ، لأنه كلما أراد أن يطفئ نور الله أعلاه ، **"وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون** " ،التوبة/32. هو الذي لا يرضى بما منحه الله عزّ وجل ، فتراه ساخطا على ما عنده ،فهو كما قال الله جلّ وعلا :" **إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعًا"** ، المعارج /**18و19**. والهلع هو شدة الجزع ، أي أن الإنسان لا يصبر على ما يزل عليه ،غريد الشيخ، أحلى ما قيل في الحكم والأمثال ،ص:207.

[2] – شوقي ضيف ، العصر الإسلامي، ص:169.

[3] – حميد آدم الثويني ، الأمالي في أصول الكتابة العربية ،ص:11 ،ط1 ،دار صفاء، عمان ،2006.

وهذا الاختلاط استدعى علما واسعا بشؤون الحياة (من لغة وأدب و أنظمة إدارية)،فامتزجت الثقافة العربية بثقافات أخرى ليندمج العرب مع غيرهم من شعوب الأمم المختلفة، فكانت الثقافة الفارسية أشهر تلك الثقافات لما لهم من علم أوسع في شتى المجالات(السياسية والاجتماعية والأدبية)،وامتاز الفرس بتعدد ثقافتهم(يونانية وعربية)،وكانوا على دراية واطلاع واسع بشؤون العرب، " وذلك أن كثيرا من كتاب الدولة كانوا فرسا ، فقد كتب عبد الحميد بن يحي لبني أمية[1]، وكان منصب الكاتب يقتضيه أن يكون واسع الثقافة متجدد المعرفة ، لأنه يعرض على الخليفة أو الوالي ما يرسل إليه،ويكتب عنه ما يرسل منه،فلم يكن بد للكتاب من إجادتهم العربية ، ومعرفتهم بالأدب الفارسي،لهذا ألموا بحكم العرب وحكم الفرس،ووقفوا على تاريخ الفرس وجمعوا بين حكم الخلفاء الراشدين و أكثم بن صيفي وحكم بزرجمهر و كسرى أنوشروان [2] ".

تميّز العرب عن غيرهم من الأمم ببلاغة خطابتهم وفصاحتها ،" فالعرب كانوا أهل فصاحة لسانية أكثر منهم أهل بلاغة كتابية ، والقدرة الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب [3]"، فأخذ العرب عن الفرس تنظيم شؤون الدولة ،والفرس بدورهم أخذوا عن العرب فصاحة اللسان واللغة [4].

[1] – كان كاتبا لمروان بن محمد ،وهو آخر خلفاء بني أمية.

[2] – أحمد محمد الحوفي ، تيارات ثقافية بين العرب والفرس ،ص:181، نهضة مصر للطباعة ،القاهرة، د ت ط .

[3] – أحمد أمين ،ضحى الإسلام ، ج1،ص:185،مكتبة الأسرة ،مصر، 1997.

[4] – و يذكر أن يزيد بن معاوية كان يعدد على زياد بن أبيه فضل بيته ،فيقول له:" لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عزّ قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان ، ومن القلم إلى المنابر "

ومن مظاهر تأثير الفرس في النثر العربي ،ما لحق باب التوقيعات ،و" ذلك أنّ الفرس قبل الإسلام ،كانوا يعنون بالبلاغة عناية كبرى ،وكان من أظهر عنايتهم بالبلاغة والحكم والتوقيعات ،وقد نقل إلى أدبنا العربي الشيء الكثير من توقيعات ملوك الفرس[1] ،ولما تحضرت العرب وانتشرت الكتابة بينهم،وحرروا مظالمهم كان لهم توقيعات في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية " [2]. ترك الخلفاء توقيعات كثيرة [3].

ويبدو أثر الثقافة الفارسية واضح عند كل من عبد الحميد الكاتب وعبد الله ابن المقفع،لأن هذا الأخير " نشأ تحت رعاية أبيه بفارس حيث نال حظا وافرا من الثقافة الفارسية ، واطلع على الكثير من آثارها التاريخية والأدبية ، والأخلاقية "[4] ، وبما أنه من أصل فارسي ساعده ذلك على اكتساب ثقافة متنوعة عربية وفارسية[5] ، صنع الامتزاج الثقافي من عبد الله ابن المقفع كاتبا ومترجما، وهو خير من يمثل هذه الثقافة.

ومما يؤكد التأثير الفارسي في عبد الحميد الكاتب ،ما ذكرناه سابقا أن أبا هلال العسكري وصفه لما قال أنه استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي، وذلك لكي يعتمدها الكتاب فيما بعد .

---

[1] – وقع أنوشروان في قصة محبوس: من ركب ما نهى عنه حيل ما بينه وبين ما يشتهي .

[2] – أحمد أمين ،ضحى الإسلام،ج1،ص:206.

[3] – وقع هشام بن عبد الملك في قصة متظلم:" أتاك الغوث إن كنت صادقا ،وحلّ بك النكال إن كنت كاذبا ،فتقدم أو تأخر"، ولمروان بن محمد توقيع : " نجوم الظاهر يدل على ضعف الباطن ،والله المستعان " ،أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:497و498.

[4] – عبد الحميد حاجيات ،عبد الله ابن المقفع ، حياته وآثاره، ص:12، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

[5] – أخذ عبد الله ابن المقفع عن الفرس الحكمة .

وعلى الرغم من أن كل منهما كتبا باللغة العربية ، إلا أن تفكيرهما بقي تفكير فارسي الأصل، ومما يدل على ثقافة بن المقفع الفارسية ما قاله أحمد أمين[1] عن أثر الفرس في الأدب العربي " إنما ذكرنا كتاب كليلة ودمنة وما كان له من أثر في الثقافة الفارسية.. " .

كما أن ابن المقفع أخذ الأمثال والحكم من لغته الأصلية ، وامتاز بسمات فارسية ، و" كان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي ، مضطلعا باللغتين ، فصيحا بهما [2]. كما أن ابن المقفع عرف بالنقل والترجمة من لغة أصله الفارسي إلى لغتنا العربية.

2 - **أثر الثقافة اليونانية :**

أكد على أثر الثقافة اليونانية أحمد أمين[3] ، حين تحدث عن كتاب " الأدب الصغير " وما ورد فيه من كلام في الأخلاق، ويرى أنه أشبه بالتفكير اليوناني وما يوجد خاصة في الفلسفة اليونانية من حديثهم عن العقل والأخلاق ،و " ... هناك أثر يوناني في هذه الحكم مثل قوله :" إن العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره ، فيعلم أن أحق ذلك بالطلب إن كان مما يحب ، وأحقه بالاتقاء إن كان مما يكره أطوله وأدومه وأبقاه ،فإذا هو قد أبصر فضّل الآخرة على الدنيا ، وفضّل سرور المروءة على على لذة الهوى ،وفضّل الرأي الجامع العام ، الذي تصلح به الأنفس والأعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلا ثم يضمحل ، وفضّل الأكلات على الأكلة ، والساعات على الساعات ". فإنك تلمح في

[1] - أحمد أمين ،ضحى الإسلام ،ج1،ص: 232،233.

[2] - ابن النديم ، الفهرست ،تح: مصطفى الشويمي،ص:523.

[3] - ينظر: أحمد أمين ،ضحى الإسلام ، ج1، ص: 220.

ثنايا هذا رأي " أبيقور" وهو أنه يجب أن يراعي في تفضيل لذة على لذة ،الشدة والمدة ، وتفضيل اللذائذ العقلية والروحية على اللذائذ البدنية.

أخذ عبد الحميد من الثقافتين الفارسية واليونانية، وقد ظهر التأنق في الرسائل وراح كتابها يتنافسون في الزخرفة وحسن الأداء ،والموسيقى الصوتية، مقتبسين من أساليب الفرس والروم تفخيما ومنطقا ، وراحوا يضعون للكتابة أصولا وقوانين تجري عليها ، وانقلبت الطبعية والفطرة إلى صنعة ، وكان زعيم هذا الأسلوب في ذلك العهد عبد الحميد بن يحي ، الذي لقب " بالكاتب" تعظيما لشأنه وإقرارا بفضله"[1].

ومن هذا الكلام يتضح أنّ عبد الحميد الكاتب كان يتميز على غيره من كتاب عصره، لتنوع ثقافته ، فحذق العربية وأتقنها ، وأخذ عن ثقافته الفارسية أساليب الكتابة وفنونها .و " إنّ ابن المقفع كان عظيم الحظ من الثقافة العربية والفهلوية واليونانية "، و من مظاهر صلته بالثقافة اليونانية ما نص عليه في رسالة الصحابة من أن الأمة لا تصلح أحوالها إلا إذا أصدر حاكم عند توليه الحكم منشورا يلزم القضاة العمل بقتضاه عند حكمهم ، ويعلق على ذلك بقوله : " إن هذه الفكرة لم يبتدعها ابن المقفع ،بل هي أثر من آثار الثقافة اليونانية "[2].

[1] -حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه،ج1، ص:405 .

[2] -محمد غفراني الخراساني ، عبد الله ابن المقفع ،ص:456.

إنّ ما ذكر عن ابن المقفع وأثر اليونان عليه ،أنّ المنشورات المتعلقة بالحكم كانت موجودة لدى اليونانيين منذ القدم ،وذلك قبل ظهور ابن المقفع بكثير من القرون.ويرى أن الفرس كانوا يطّلعون على مستجدات الحضارة اليونانية بمختلف مظاهرها .

و ترك ابن المقفع للغة العربية والأدب مؤلفات ، إن دلت على شيء فهي تدل على غنى وكثافة عقله ،وتوحي لنا بثقافته الفارسية وأثر الثقافة اليونانية ،"فإنّ فضله عظيم على العربية فهو أول من أدخل إليها الحكمة الفارسية الهندية ، والمنطق اليوناني وعلم الأخلاق وسياسة الاجتماع ، وأول من عرّب ، وألّف،ورفع في كتبه النثر العربي إلى أعلى درجات الفن[1] .

وفي هذا الشأن قيل عنه أيضا :" ولابد أن ابن المقفع قد جمع في كتابه أدب الشرق وحكمه وفلسفة الإغريق ونظمهم...وقد ذكر بعض المؤرخين أنه ترجم بعض كتب الإغريق إلى الفارسية ....، وسواء أكان قد ترجم بعض الآثار اليونانية أو لم يفعل ، فلابد أنه قد قرأ بعض هذه الآثار مما صار ترجمته في عهده ، وقبل عهده ،لأن العقل اليوناني ظاهر بارز في تقسيم الكتاب[2] ومنطقه "[3].

ومما قيل عن أسلوب عبد الله ابن المقفع وثقافته إنّ:"أسلوبه الكتابي من صميم العروبة ، مزج فيه الروح الفارسية ، واليونانية والهندية ، فكان جديدا على عروبته عربيا على

[1] – ينظر: عبد الله ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير،ص:8، دار بيروت ،1980.

[2] – المقصود بالكتاب هنا كتابه "كليلة ودمنة".

[3] – ينظر: عبد الله ابن المقفع ، آثار ابن المقفع ،ص:17، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ،1986.

فارسيته ، يجمع بين إيجاز العرب وبلاغتهم الخطابية إلى إطناب الفرس إلى منطق اليونان،إلى حكمة الهند ،ففي أسلوب ابن المقفع عذوبة البداوة، ولين الفارسية ، وصيغة اليونان العلمية وأرستقراطية الهنود الكلامية [1]، وكل هذا الكلام يبين الامتزاج الثقافي بين العرب واليونان والفرس ، وعلاقة التأثير والتأثر بهم [2].

إنّ كل من عبد الله ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ، يغلب عليهما الطابع الفارسي في كتاباتهما ،إلّا أن أثر المنطق اليوناني والتقسيم، واستعمال الحال [3]عند عبد الحميد الكاتب.

[1] – سعيدي أبو بكر ، تحليل نصوص من كليلة ودمنة لابن المقفع ،ص:31.

[2] – تأثر ابن المقفع بالفلسفة اليونانية،والمنطق ،وحكم الهنود والفرس،مما جعله يؤثر في من أتوا بعده ،ومن أبرز كتبه المشهورة عالميا " كليلة ودمنة".

[3] – سيظهر استعمال الحال في رسائله ،ومن أبرز رسائله التي برز الحال فيها رسالته إلى أهله وهو منهزم مع مروان ابن محمد،أكثر من الحال لأنه كان يصف حاله وهزيمته.

2 –أساليب الكتابة عند عبد الحميد الكاتب وابن المقفع :

أ– بلاغة عبد الحميد الكاتب:

1 – ترجمته:

عبد الحميد[1] الكاتب ، عالم بالأدب ، من أئمة الكتاب، يضرب به المثل في البلاغة ، "وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، ولما قوي أمر العباسيين وشعر مروان بزوال ملكه، قال لعبد الحميد : قد احتجت أن تصير عدوي ، وتظهر الغدر بي ، وإنّ إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك ، فأبى عبد الحميد مفارقته وبقي معه إلى أن قتلا معا في بوصير بمصر [2]،إن علاقة عبد الحميد الكاتب بالدولة الأموية قوية مما تركته لا يتخلى عن آخر خلفائها، وبقي معه حتى قتل مروان، "وأخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة 132 هـ "[3]،وقيل عنه أنه:" كان أولا معلم صبية ، يتنقل في البلدان ، وعنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا ، وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في الترسل ، وكان واحد دهره، وكان من أهل الشام من مدينة قيسارية، وقتل عبد الحميد مع مروان بن محمد ، يوم الاثنين ،ثالث عشر ذي الحجة ، سنة إثنين وثلاثين ومائة بالديار المصرية ، ولرسائله مجموع نحو ألف ورقة "[4] ، وهو الذي أخذ

---

[1] – عبد الحميد بن يحي بن سعد العامري بالولاء ،المعروف بالكاتب.

[2] – ينظر :خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ص: 290 ، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

[3] – السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ،تعليق :يحي مراد ،ص:538.

[4] – محمد ابن إسحاق ابن النديم ، الفهرست ، تح: مصطفى الشويمي ، ص:518.

الإطناب سبيلا له ،ومنهجا يسير عليه في رسائله[1] وكتاباته التي كانت آية في البلاغة، مما جعله كاتبا مميزا عند آخر خلفاء بني أمية [2] .

تميز بثقافته الفارسية وتأثره بالثقافة اليونانية ، ويرى "طه حسين " أنّ ثقافته اليونانية تظهر في كتاباته لاستعماله " الحال" ونشره في كلامه [3] . والذي أدى به لقول هذا أن اليونانيين يستخدمون الحال كثيرا في كتاباتهم ، أما" شوقي ضيف" فهو لا يؤيد رأي "طه حسين" فيقول أنّ ظاهرة الحال " من خواص اللغة العربية وهي شائعة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم"[4]. ومن هذا القول يتبين لنا أنّ ظاهرة "الحال" ليست من مميزات الثقافة اليونانية فقط، وإنما يعتبر خاصية أدبية عربية .

لقد كانت منزلته في الكتابة رفيعة ،ولذلك قيل عنه :" أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهد سبلها وميز فصولها ،وأطالها في بعض الشؤون ، وقصرها في البعض الآخر ،وأطال التحميدات في صدرها ،وجعل لها صورا خاصة ببدئها وختمها على حسب الأغراض التي تكتب فيها ، وكان لبلاغة عبد الحميد

---

[1] – أشهر رسائله وأبرزها رسالته إلى الكتاب وكتابته عن الشطرنج،ورسالته إلى عبد الله ابن مروان على لسان أبيه.

[2] – مروان بن محمد ، ومما كتب عبد الحميد عن مروان إلى هشام بن عبد الملك يعزيه عن مولودين هلك أحدهما وبقي الآخر ،وفيها:" الشكر على النّعمة،والصبر على النكبة، وتأدية الحق على ميسور الأمور ومعسورها ومحبوبها ومكروهها،من استعمله كان شكر الله أولى به من صبره،فيوجب له بالشكر على النّعمة المزيد،وبالصبر على المصيبة الأجر، بما أدى من الحق في نفسه واقتدى به أهل دهره " ،أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج2،ص:372.

[3] – طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ص: 40.

[4] – شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ،ص: 477.

عمل يعجز عنه السحر في خلب الأفئدة وجذب النفوس[1]، فالعرب قديما كانت تؤثر الإيجاز عن الإطناب ،ولما جاء عبد الحميد الكاتب أخذ الإطناب وسيلته للوصول إلى هدفه المنشود، إلّا أنّ له بعض الأقوال الموجزة التي تجري مجرى الحكمة[2].

2 - أسلوب عبد الحميد الكاتب :

تميزت كتابات عبد الحميد بالإطناب بالتوازن والازدواج المقترن بظاهرة السجع،وأحيانا نجده يستعمل الإيجاز [3]، وقد اتصفت كذلك بالأناقة في التعبير وبلاغة الأداء ودقته ، وتحرره من الجفاء ، وإلى جانب ذلك نجد انسجام الألفاظ وترادفها ، و هذه المميزات الموجودة في أسلوب نثره هي نفسها التي تميز ما يسمى بالنثر الفني .

أ - إطالة التحميدات :

إنّ الإطالة في التحميدات اتخذها عبد الحميد الكاتب أسلوبا له في الكتابة ،وهذا ما لم نعهده عند كتاب بني أمية قبله ،ف " استعمال التحميدات وإطالتها يكون في صدر

---

[1] - السيد أحمد الهاشمي ،جواهر الأدب ،تعليق: يحي مراد ،ص:538.

[2] - " أكرموا الكُتّاب ،فإنّ الله _ عزّ وجلّ_ أجرى أرزاق العباد على أيديهم" ،

[3] - ومن أمثلة الإيجاز " القلم شجرة ثمرتها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة وفيه ريّ العقول الظميئة، (ابن النديم ، الفهرست ، تح: مصطفى الشويمي، ص: 78)،وقال عن البلاغة: " البلاغة تقرير المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام،(الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تقديم :صلاح الدين الهواري ، ج1،ص:153).

الرسائل ، وهاته الإطالة استمدها من أصله الفارسي ومن أساليب الفرس. ويظهر في تعاقب الألفاظ والعبارات على المعنى الواحد "[1].

وهذا النوع من الأسلوب قد استعمله كثيرا في التحميدات[2] وأغلب رسائله مثل رسالته إلى الكتاب .

ومن بين التحميدات نذكر :

" الحمد لله الناصر لدينه وأوليائه وخلفائه،المظهر للحق وأهله،والمذلّ لأعدائه أهل البدعة والضلالة الذي لم يجمع بين حق وباطل وأهل طاعة ومعصية،إلاّ جعل النصرة والفَلْج[3] والعاقبة لأهل حقه وطاعته، وجعل الخزي والذّلة والصّغار[4] على أهل الباطل والخلاف والمعصية، حمدا يتقبله ويرضاه ويوجب به لأمير المؤمنين وأهل طاعته الزيادة التي وعد من شكره ،والحمد لله على ما يتولى من إعزاز أمير المؤمنين ونصره وإفلاجه[5] وإظهار حقه ...."[6] ،وكان أسلوب عبد الحميد الكاتب أسلوب أديب رصين ، بصير بمحاسن

---

[1] –حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج1،ص:410 .

[2] –له تحميدات كثيرة كلها تميزت بالإطالة والإسهاب، منها :" الحمد لله العلي مكانه،المنير برهانه ،العزيز سلطانه،الثابتة كلماته،الشافية آياته،النافذ قضاؤه،الصادق وعده،الذي قدر على خلقه بملكه،وعزّ في سمواته بعظمته ،ودبّر الأمور بعلمه،وقدّرها بحكمه،على من يشاء من عزمه،مبتدعا لها بإنشائه إياها، وقدرته عليها ،واستصغار عظيمها،نافذا إرادته فيها،...."،أحمد زكي صفوة، جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:470 .

[3] –بمعنى الفوز والظَفر .

[4] – بمعنى الذل .

[5] – من أفلجه أي نصره .

[6] – محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص: 166، و أحمد زكي صفوت ،جمهرة رسائل العرب ،ج2،ص:469.

الطريقتين الفارسية والعربية ، جمع بين الازدواج والسجع ، واستعان بالإطناب لإيضاح المعنى.

ويرى أحمد أمين [1] أنّ " منحى كتابة عبد الحميد ذو صبغة فارسية ، واستدل على ذلك بقول أبي هلال العسكري : " قال : فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي ، فحولها إلى اللسان العربي ، ويدلك على هذا أيضا أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة ، وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ".والذي يعنيه العسكري من قوله ،أنّ للامتزاج الثقافي دور كبير في فصاحة وبلاغة أي كاتب من الكتاب ، سواء كان عربيا أم أعجميا .

ب – الإطناب في الرسائل :

لقد تميزت معظم رسائله بالإطناب ، الذي يراه من دواعي كتابة الرسائل ،ومن أبرز الرسائل المطولة رسالته إلى الكتاب ورسالته إلى عبد الله ابن مروان على لسان أبيه مروان بن محمد .

[1] – أحمد أمين ، فجر الإسلام ،ص:123.

1- رسالته إلى الكتاب :

« أما بعد ، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ، فإنّ الله_ عزّ وجل_ جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، (...) ، فجعلكم معشر الكتاب ، في أشرف الجهات، أهل الأدب والمروآت ،والعلم والرزانة . بكم تنتظم للخلافة محاسنها ،وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، ويعمّر بلدانهم ، لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد إلّا كاف منكم ، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون ..... وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع والتذلل لعزته والتحدث بنعمته ، وأنا أقول في كتابي هذا ماسبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل .وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عزّ وجلّ ، فلذلك جعلته آخره وتممت به . تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة، بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته (.....)» [1].

تميزت الرسالة بطولها وهو من ملامح الإطناب ،فتطويل الرسالة كان لفائدة ،فمضمونها عبارة عن نصائح قيّمة لمعشر الكتاب للتفنن في صنعة الكتابة ،استهل رسالته بالدعاء [2] ،والذي يعتبر نهجا معينا في افتتاح فن الرسائل و اختتامها،وهذا ما يسمى بحسن

[1] – محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص :من 173 إلى 175 ،دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ،1331 هـ .

[2] – "حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ".

الابتداء،فالبليغ من يحسن ربط الدعاء بغرض رسالته ، وختمها كذلك بالدعاء للكتاب بالإسعاد لهم وإرشادهم، وفيها بعض الأسجاع [1] الذي لم يعمد إليه، وفيها بعض العبارات المتوازنة[2].

2 - رسالته على لسان مروان بن محمد إلى ابنه وولي عهده عبد الله ابن مروان :

« أمّا بعد ، فإنّ أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجافي الأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة،وظلم الفتنة،ومهاوي الهلكة ،ورعاعه الذين عاثوا في أرض الله فسادا ،وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا ،وبدّلوا نعمة الله كفرا ،واستحلّوا دماء أهل سلمه جهلا حب أن يعهد إليك في لطائف أمورك ،وعوام شئونك ،ودخائل أحوالك،ومصطرف تنقلك عهدا يحملك فيه أدبه ،ويشرع ل كبه عظته ،وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مختصا لك بذلك دون لُحمتك وبني أبيك ..... » [3].وختم الرسالة[4] بقوله داعيا : « أيدك الله بالنصر ،وغلب لك على القوة، وأعانك على الرشد ،وعصمك من الزيغ ،وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ، ومنازل الأصفياء،والسلام عليك ورحمة الله .وكتب سنة تسع وعشرين ومائة » [5].

---

[1] - في "... سلطانهم ، ويعمّر بلدانهم ، لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد إلّا كاف منكم".

[2] - فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون.

[3] - أحمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب، ج2،ص:406.

[4] - ويقال أن الدعاء محمود في خواتيم الكتب والرسائل .

[5] - أحمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:455.

ت – الأسلوب المتوازن في نثر عبد الحميد الكاتب :

يشبه التوازن السجع وهو تعادل الفقرات على نحوه ،ويختلف عنه بعدم التقيد بالقوافي،وفي التوازن كلام كثير عند علماء البلاغة .

إنّ الأسلوب المتوازن في كتابة عبد الكاتب غالبا ما نجده مقترنا بالسجع ،وتزاوج الألفاظ وانسجامها ،وتناسق العبارات.

كتب عبد الحميد الكاتب رسالة إلى أهله ، وهو منهزم مع مروان بن محمد :

" أما بعد : فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنابها ذمّها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا لها ، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية ، فملُح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الأخوان : فالدار نازحة والطير بارحة. وقد كتبت والأيام تزيدنا عنكم بعدا ، وأليكم وجدا ، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها ، يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن لحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم ، نرجع إليكم بذل الأسار ، والذل شر جار. نسأل الله الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة، تجمع سلامة الأبدان والأديان فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين "[1].

[1]- أحمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب،ج2،ص:486،487.

لقد تراوح أسلوبه بين التوازن [1] مقترنا ببعض السجع [2]، كما تتخلل الرسالة بعض الألوان البلاغية [3] المختلفة .

تميزت معانيه بالغزارة والكثرة ، لا غموض فيها ولا تعقيد ، فهي واضحة ودقيقة،ألفاظه عذبة ، لا توعر فيها وليست غريبة .فالإطناب والإسهاب واستخدام السجع دون تكلف من سماته الأسلوبية ،التي ميزت طريقته في الكتابة عن غيره من الكتاب في هذا العصر [4]".

لقد كان عبد الحميد أبرع كتاب عصره في فن الكتابة، وأشدّهم بيانا ، إذ شهد له الأدباء والساسة بأنّ له السبق في توطيد أركان دولة بني أمية في آخر عصرها ،" قال عنه أبو جعفر المنصور(ت 158 هـ) " غلبتنا بنو أمية بثلاثة ، بالحجّاج ، وعبد الحميد ، والمؤذن البعلبكي "[5] ، فعبد الحميد الكاتب اشتهر بالكتابة وتميز بالبلاغة والفصاحة ، وما

---

[1]- في قوله :سكن إليها و ساخطا عليها ،مستزيدا لها ، و تزيدنا منكم بعدا ،وإليكم وجدا ،

[2]- في : إخوان وأوطان ، نازحة وبارحة ،بعدا ووجدا ،والأسار وجار.

[3]- الاستعارة في قوله : " عضته بنابها " ، جعل عبد الحميد للدنيا نابا تعض به لما سخطت عليه ، وشبهها بالوحش المفترس ، ولكنه حذف المشبه به ، ورمز إليه بأحد لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية . ونجدها كذلك في قوله " ظفر جارح من أظفار من يليكم " ، فقد شبه الحكام الذين سيتولون الحكم بعد الأمويين بالطيور الجوارح ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازمة من لوازمه " ظفر جارح " ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والكناية : في قوله " جمحت " وهذه كناية عن الفرس ، فهي التي تجمح أي تغلب راكبها وتنفر منه ، ومن ألوان البديع نجد الطباق في قوله : " الكره والسرور " ، " يعز و يذل "،والجناس في : " ظفر و أظفار " ، " ذل و الذل " .

[4] – يختلف أسلوب عبد الحميد عن أسلوب الكتاب الذين سبقوه من خلفاء بني أمية (معاوية و عمر بن عبد العزيز)، والولاة (الحجاج بن يوسف و المهلب بن أبي سفرة و قطري بن الفجاءة) ، حيث تقيد أسلوبهم بأسلوب النبي صلى الله عليه وسلم .

[5]- حميد آدم الثويني ، فن الأسلوب ، ص: 157 .

جعله يتألق في الكتابة هو تنوع ثقافته وتعددها ، حيث أنه أخذ من ثقافته الفارسية وحذق العربية ، وأخذ من اليونانية أيضا .فهذا التمازج الثقافي جعل منه أبرع كتاب عصره.

وفي هذا الشأن نجد أبا هلال العسكري يقول: " ألا ترى أنّ عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحوّلها إلى اللسان العربي ، فلا يكمل لصناعة الكلام إلا من تكمّل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال [1]". ومما نفهمه أنّ الثقافة الفارسية لعبت دورا كبيرا في بلاغة الكتاب ومنهم عبد الحميد الكاتب .

ورسالته إلى الكتاب من أبرز ما كتب عبد الحميد ،تنوعت أقواله ونصائحه إلى الكتاب،فذكر في جانب مهم منها ، ما يجب أن يتوفر في الكاتب ، ومنها أن يكون عالما بكل علم ديني أو لغوي ، أي عليه أن يأخذ نصيب من كل علم ، ثم وضع أسسا للكتابة على الكاتب أن يعمل بها ، وتعبر لنا هذه الرسالة عن ثقافة عبد الحميد وإلمامه بمختلف العلوم اللغوية والدينية .

وقيل لعبد الحميد الكاتب : " ما الذي مكنك من البلاغة؟ قال:" حفظ كلام الأصلع، يعني به أمير المؤمنين " علي " كرم الله وجهه "[2].وذلك أن الإمام علي رضي الله عنه كان أبلغ المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

---

[1]- القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، ج2 ، ص: 185.

[2] - محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص: 16.

لقد تنوعت الأساليب الأدبية في كتابات عبد الحميد الكاتب ، وذلك بتنوع ثقافته الفارسية واليونانية،مما أكسبه أسلوب ذا طابع مميز . وعنه أخذ المترسلون فيما بعد ولطريقته لزموا كما قيل عنه .

ب – بلاغة عبد الله ابن المقفع وأسلوبه :

1 - ترجمته : (**106 هـ . 142 هـ**): عبد الله ابن المقفع ، من أئمة الكتاب،وهو"أحد فحول البلاغة ، وثاني اثنين مهدا للناس طريق الترسل ورفعا معالم صناعة الإنشاء وأولهما(عبد الحميد) [1]، يعد كلا من عبد الحميد الكاتب وعبد الله ابن المقفع مؤسسا مدرسة النثر الفني .

وقيل عن علمه وفطنته :" ما رأيت مثله ، وعلمه أكثر من عقله "[2]،كان ابن المقفع من أهم كتاب بني العباس وذلك "بسبب ثقافاته الواسعة نبغ في الكتابة الديوانية ، وتسنم زعامة الكتاب ، كما كانت هذه العبقرية المبكرة سببا في إثارة كتاب الخليفة المنصور في بغداد وحقدهم عليه "[3] ،و الكلام كثير عن سبب مقتله [4] .

---

[1]– الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تقديم :صلاح الدين الهواري ، ج1،ص:568.

[2] – خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص: 140 .

[3] – حامد حنفي داود ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص: 39، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1982.

[4] – مما ورد عن مقتله أنّ الخليفة المنصور طلب من كاتبه أن يرسل إليه من يقتله ، ونجد أيضا سببا آخر يقال أنه سبب موته اتهامه بالزندقة،" قتله والي البصرة سفيان بن معاوية سنة 142 هـ لاتهامه بالزندقة والكيد للإسلام "، السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب، ص:568، وقيل أنّ عبد الحميد الكاتب كان بصحبة ابن المقفع ،حين أراد العباسيون قتله،فلما سئلا أي منكما عبد الكاتب فأجاب ابن المقفع أنا هو،ولكن الجند تحروا عن صفات عبد الحميد الكاتب ، ولما تبين لهم من منهما عبد الحميد الكاتب ،أردوه قتيلا وذلك لخدمته بني أمية.

وردت أقوال كثيرة عن أدب ابن المقفع وحكمته، " فهو من أشراف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات كثيرة ،ورسائل مختارة ، وكان محجما عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول الشعر؟ فقال :الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي يجيء لا أرضاه [1].ومن هذا نرى أن ابن المقفع لم يكن مهتما بالشعر مثل اهتمامه بكتابة الكتب وترجمتها من الفارسية والهندية إلى العربية ، ولعبد الله ابن المقفع عدة مؤلفات [2] أثرت اللغة العربية بتنوع ثقافاتها من هندية وفارسية ويونانية، وحتى الثقافة العربية الإسلامية لها ميزة خاصة فيما تركه ابن المقفع من آثار.

2- بلاغة نثر ابن المقفع :

إنّ بلاغة عبد الله ابن المقفع قائمة في مؤلفاته على كلامه الذي يجري مجرى الحكم والأمثال [3] ،وتميزت كذلك بالإيجاز والإرسال ، الذي يعده من ابن المقفع من صميم البلاغة.

---

[1] – الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تقديم: صلاح الدين الهواري،ج1،ص: 245 .

[2] – منها " الأدب الكبير" وهو كتاب يتحدث عن أنظمة الحكم والسياسة وكذلك "الأدب الصغير" الذي هو عبارة عن حكم وأمثال ومواعظ و" رسالة الصحابة" التي وجهها إلى المنصور قصد الإصلاح والتوجيه والإرشاد ، أما كتاب " كليلة ودمنة" فهو كتاب ترجمه إلى العربية وهو كذلك يشمل مجموعة من الأمثال والمواعظ واستخدم الرمز فكانت نصائحه موجهة إلى الطبقة الحاكمة ولكن بطريقة غير مباشرة وكانت على لسان الحيوان .

[3] – " إذا رأيت في غيري حسنا أتيته ، وإن رأيت قبيحا أبيته ، وبهذا وحده أدّبت نفسي " ، (فايز يوسف محمد ، قاموس الطلاب في الحكم والأمثال ،ج1 ، ص:44) ، وله من الحكم أيضا :" إذا هممت بخير فبادر هواك ، لا يغلبك ،وإذا هممت بشرّ فسوّف هواك لعلك تظفر ، فإنّ ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم .وقال كذلك :" لا يمنعنك صغر شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأيه صوابا الاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريما ، فإن اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذي استخرجها".(عبد الله ابن المقفع ،الأدب الصغير والأدب الكبير ،ص: 35).

أ- **أسلوب الإيجاز**[1] :

ويبدو أن ابن المقفع أظهر حرصه الشديد على الإيجاز ،وعلى عدم الإطناب،وكان يهدف إلى إيصال مبتغاه بالإيجاز من دون إخلال بالمراد تحصيله ، فالإيجاز في نظر ابن المقفع من تمام البلاغة وكمالها ،"فكلام ابن المقفع مثلا موجز بالنسبة للجاحظ ومسهب بالقياس إلى كلام الحجاج بن يوسف الثقفي "[2]، فابن المقفع يكون موجزا إذا قارناه بالجاحظ الذي كان يستخدم الإطناب في مؤلفاته، أما إذا رأينا إلى كلام الحجاج ابن يوسف فنجد أن ابن المقفع يطنب بدل أن يوجز، ولكن الحاجة قد تكون إليهما فلكل مقام مقال،إلّا أنه يؤثر الإيجاز ويحرص عليه ،ولا نجده يفضل الإطناب.

وله كغيره من الأدباء مجموعة من الحكم ، تميزت بالفصاحة والإيجاز، ومنها :« عمل البر خير صاحب ،أحق ما صان الرجل أمر دينه ،الآلف للدنيا المغتر ،من ألزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل ، المغبون من طلب ثواب الآخرة في الدنيا ، القلب أسرع تقلبا من الطرف ، أحسن العفو ما كان عن عظيم الجرم،الاعتراف يؤدي إلى التوبة ، الإصرار وعاء للذنوب ، الجواد من بذل ما يظن به ، المتكلف لما لا يعنيه متعرض لما يكره ، الفكر مفتاح القلب ، الاستماع أسلم من القول ،أكرم الأخلاق التواضع ،التواضع يورالمحبة،الكبر مقرون به سوء الظن، من عذب لسانه كثر إخوانه ،من استبعد الآخرة ركن إلى الدنيا »[3].

---

[1]- سبق التعريف بهذا الأسلوب البلاغي في الفصل الثاني من المذكرة.

[2] - محمد غفراني خراساني ، عبد الله ابن المقفع ، ص:454.

[3] - ابن المقفع ،آثار ابن المقفع،ص:341،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت،1989.

ومن أقواله الموجزة نذكر ما قاله في اليتيمة : " صحبة الأخيار تورث الخير، صحبة الأشرار تورث الندامة ، كالريح التي إذا مرت على الطيب حملت طيبا ، وإذا مرت على النتن حملت نتنا ، والعاقل لا تبطره منزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله شدة الرياح "

الإيجاز في الأدب الصغير[1] : وذلك في قوله: "وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإثابة والتنكيل بها [2]" ، وقال أيضا:" أشد الفاقة عدم العقل وأشد الوحدة وحدة اللجوج .ولا مال أفضل من العقل ولا أنيس آنس من الاستشارة ، وقال عن المثل :" إذا جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق،وأبين في المعنى وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث [3] ،وقوله أيضا : " أفضل ما يوّرث الآباءُ الأبناءَ الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحون "[4] . ومن كلام ابن المقفع في كتابه ، يظهر بأنه يضرب

---

[1] – وهو" عبارة عن كلمات حكيمة في الأخلاق ،لا تحلل النفس والخلق تحليلا دقيقا واسعا مستوفى، ولا تذكر الخلق فتبسط القول فيه وتذكر وصفه، والسبيل إلى اكتسابه ، فذلك بالعقل اليوناني أشبه ،ولكنها عبارة عن جمل موجزة أشبه بالأمثال ،وهي خطرات ، نتيجة تجارب قد صيغت في إيجاز، وفي عبارة رشيقة رقيقة ،مثل:أربعة أشياء لا يستقل منها القليل: النار والمرض والعدو والدّيْن ". وفي الكتاب أمثال وحكم الغاية منها اكتساب الأخلاق الحميدة ،وهاته الحكم والأمثال تشبه إلى حد كبير ما هو موجود عند الفرس واليونان، (أحمد أمين، ضحى الإسلام ،ج1،ص: 219، مكتبة الأسرة ،القاهرة ،1997).

[2] – عبد الله ابن المقفع ، الأدب الصغير، تح: أحمد زكي باشا،ص:93 ،ط1،دار ابن حزم، بيروت 1911.

[3] – عبد الله ابن المقفع ، الأدب الصغير، تح: أحمد زكي باشا ، ص:99.

[4] – محمد غفراني الخراساني ، عبد الله ابن المقفع، ص:129.

فيه أمثالا في مكارم الأخلاق،وأنشأها في جمل موجزة [1]تشبه الأمثال في صياغتها وأسلوبها، ويتحدث فيه عن استخدام العقل ، فلذلك يرى أنه ينبغي للعاقل أن يقوم بمحاسبة نفسه كما ذكرنا في مقولته.

ويذكر ابن المقفع ما ورد في كتابه هذا فيقول: " وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصِقالها وتجلية أبصارها، وإحياء للتفكير، وإقامة للتدبير ، ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق.إن شاء الله[2]، وفي هذا القول يوجز ابن المقفع ما أورده في الكتاب .

إنّ كتاب "الأدب الصغير" يعد من أشهر كتب الأدب[3] في الحديث عن الأخلاق .يبين نزعة عبد الله ابن المقفع الاجتماعية والأخلاقية ،إذ يظهر الجانب الاجتماعي في كتابه حين يتحدث عن كيفية معاملة الناس و كلماته عن الصديق ، أما الجانب الأخلاقي كحديثه مثلا عن محاسبة النفس وذلك لتهذيب الأخلاق.

---

[1] – ومن إيجاز الحذف نجد " إذا رأيت أحدهم يجعلك أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده "،(ابن المقفع ،آثار ابن المقفع، الأدب الصغير ،ص:253.) وتقدير المحذوف إن زادك قربا فزده موالاة، وهو حذف للمفعول به ، أما إيجاز القصر فهو في قوله:"أشد الفاقة عدم العقل " .

[2] – عبد الله ابن المقفع ، الأدب الصغير، تح: أحمد زكي باشا،ص:91.

[3] – فابن المقفع لا يعني بكلمة الأدب ما نفهمه من الموروث الشعري والنثري ، ونعني بالأدب هنا أدب النفس لا أدب الدرس أي كل ما يساعد الإنسان على تهذيب الخلق وتزكية النفس فليس معناه ما نستعمله الآن مقابل العلم ، والواضح لنا من هذا الكتاب أنه يهتم بمكارم الأخلاق والحث على التحلي بها ،لما فيها من إصلاح العلاقات العامة للمجتمعات .

- **الإيجاز في الأدب الكبير**[1]: " لتعرف رعيتك أبوابك التي لا ينال ما عندك من الخير إلا بها ،والأبواب التي لا يخافك خائف إلا من قبلها ".وفيه أيضا :" احرص الحرص كله على أن تكون خابرا أمور عمالك، فإن المسيء يفرق ، من خبرتك قبل أن يصيبه وقعك به وعقوبتك، وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك "[2].

وقال أيضا: " عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة ، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ، ولا تسهّلنّ سبيل ذلك إلا لأهل العقل والسنّ والمروءة ، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ به سفيه أو يستخف به شانئ . وفيه أيضا :" واعلم أنّ مالك لا يغني الناس كلهم، فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطيق العامة كلها، فتوخّ بها أهل الفضل ، وأنّ قلبك لا يتسع لكل شيء ،ففرّغه للمهمّ ، وأنّ ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك (وإن دأبت فيهما) ،وأن ليس لك إلى إدامة الدأب فيهما سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما ، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك [3]

[1] – يبدو أن ابن المقفع ألف كتابه في السياسة وشؤون الدولة وتنظيم أمورها ، ويذكر ذلك في القسم الأول من كتابه، ويحمل هذا القسم عنوان "آداب السلطان" وفيه أيضا " صحبة السلطان" ،أما القسم الثاني منه فيشمل موضوعات إنسانية واجتماعية ، فنجده يتحدث عن الصداقة وآداب المعاشرة،حيث أورده بعنوان " في معاملة الأصدقاء"، ونجد أنه يقدر الصداقة كثيرا ،ومن أشهر أصدقائه" عبد الحميد الكاتب" .

[2] – عبد الله ابن المقفع ، الأدب الكبير، تح: أحمد زكي باشا، ط1،ص:20، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

[3] – عبد الله ابن المقفع ،الأدب الكبير ،ص:21.

ب - **الأسلوب المرسل في كتاباته ورسائله :**

الأسلوب المرسل يعرف بالأسلوب المطلق ،أي أنه أسلوب الإنشاء ،"وهو النثر السائد في الكتب العلمية والتاريخية والاجتماعية قديما " [1]، وهذا النوع من الأساليب يكون خاليا من السجع وألوان البيان والبديع ،و ابن المقفع في جل ما كتبه من مؤلفات [2] لم يتقيد بالأسلوب المسجع ولا الأسلوب المتوازن ،وما كان في كتبه من سجع وازدواج لم يعمد إليه،لأن هدفه تأدية المعنى على أكمله وجه ،ولا يهمه بعد ذلك إن كانت الألفاظ التي اختارها جزلة أم سهلة ،موجزة أم مطنبة. ولديه كتابات أخرى كالوصف [3]

ونجد أن له كتابات في الابتداءات [4]وبعض الرسائل في الإخوانيات.

---

[1] – أنيس المقدسي ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،ص:6.

[2] –" رسالة الصحابة "و " الدرة اليتيمة" و" الأدب الكبير" و"الأدب الصغير".

[3] – وله في الوصف " كان لي أخ أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجا من سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، .....، وكان خارجا من سلطان لسانه،فلا يتكلم بما لا يعلم،ولا يماري فيما علم ،وكان خارجا من سلطان الجهالة ،فلا يتقدم أبدا إلا على ثقة بمنفعة،وكان أكثر دهره صامتا ،فإذا قال برّ القائلين ، وكان ضعيفا مستضعفا ، فإذا جدَّ الجدُّ فهو الليث عاديا .وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودا عدولا "،(الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تق: صلاح الدين الهواري،ج1، ص:244).

[4] – ولعبد الله ابن المقفع إلى يحي بن زياد الحارثي ابتداء في المؤاخاة ، قال فيه : " أما بعد فإن أهل الفضل في اللب والوفاء في الود والكرم في الخلق لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدق يشيد بفضلهم ، ويخبر عن صحة ودهم وثقة مؤاخاتهم ، فيتخير إليهم رغبة الأخوان ، ويصطفي لهم سلامة صدورهم ، ويجتبي لهم ثمرة قلوبهم فلا مثني أفضل تقريظا ولا مخبر أصدق أحدوثه منه . وقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة محمودة نسبت إلى مزيتها في الفضل وجمل بها ثناؤك في الذكر ، وشهد لك الأخوان برغبتهم ...."، (عبد الله بن المقفع ، آثار ابن المقفع ، ص: 337) .

وله أيضا : " أما بعد ، من قضى الحوائج لإخوانه ، واستوجب بذلك الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم ، والمعروف إذا وضع عند من لا يشكره فهو زرع لابد لزراعه من حصاده أو لعقبه من بعده .وكتبت إليك ولحالنا التي نحن بها فيما نذكرك حاجة أول ما فيها معروف تستوجب به الشكر علينا وتدّخر به الأيادي قبلنا ...." [1] .

كما يتضح لنا من رسالته الدقة في التفكير،وتحدّث عن بذل المعروف ،ويؤثر اللفظ القريب المألوف ،فهو يريده سهلا ، ويصدق على أسلوبه قوله في البلاغة : " هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها "، وهذا يكون ضمن ما قيل عنه السهل الممتنع .

بعض ألوان البديع [2]في رسالته الدرة اليتيمة : " لا تخلطن بالجد هزلا فتسحته ، ولا بالهزل جدا فتكدره، وقد عرفت لذلك موضعا إن فعلت أصبت الرأي وظهرت على الأقران، وذلك أن يتورّدك متورّد بالسفه والغضب وسوء اللفظ فتجيبه إجابة الهازل المداعب، برحب من الذرع ، وطلاقة من الوجه وثبات في المنطق [3]"

[1] – عبد الله بن المقفع ، آثار ابن المقفع ، ص: 331.

[2] – المقابلة في (لا تخلطن بالجد هزلا مع(ولا بالهزل جدا) ، والسجع في: تسحته و تكدره وهو سجع قصير ، والجناس في:يتورّدك متورّد و تجيب إجابة .

[3] – ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ،تح: بكر عباس وإحسان عباس ، ج1 ،ص:380.

3- خصائص أسلوب كتاب "كليلة ودمنة " :

يعد أسلوب ابن المقفع أسلوب المترجم ، ويظهر ذلك في ترجمته لبعض الكتب من الهندية إلى الفارسية ، ثم نقلها إلى العربية عن لغته الفارسية ، ومن بين الكتب المترجمة سنتناول كتاب " كليلة ودمنة" وأشهر كتبه على الإطلاق .

وكما أننا نجد بعض الأدباء يشكون في نسبة الكتاب إلى الهنود ،ومن ذلك ما قيل عنه :" أن ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة ، وقيل أنه لم يضعه ، وإنما كان بالفارسية فنقله إلى العربية ،وإن كان الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه [1]"، إلا أنّ ما ورد في مقدمة الكتاب يعكس ذلك ،فكل من درس هذا الكتاب لم يعلق عن المقدمة ،ومما ورد فيها " ... وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة.... [2]" ، وهذا يؤكد أن أصل الكتاب هندي ، وضعه بيدبا بطلب من ملك الهند ،وهو كتاب في السياسة الغاية منه التوجيه والإرشاد والإصلاح ، إذ عبر ابن المقفع عن نقده اتجاه أنظمة الحكم في عصره بطريقة غير مباشرة، استعمل الطرافة الأدبية ليصل إلى هدفه خشية العقاب من قبل الحكام .وقيل عنه : " وكتاب "كليلة ودمنة " موضوع على لسان الحيوانات والبهائم وهو يتعرض للعديد من القضايا المتعلقة بالحكم والحكام ورجال الحاشية وطرق التعامل مع الساسة والمسؤولين الكبار وغيرها من المسائل الأخرى [3]، وهذا

---

[1] – عبد الحميد حاجيات، عبد الله ابن المقفع حياته وآثاره، ص:25 .

[2] – عبد الله ابن المقفع ، كليلة ودمنة،ص:17، دار القصبة ، الجزائر، 2012 .

[3] – عبد الله ابن المقفع ، كليلة ودمنة ، تقديم : مرزاق بقطاش ، ص:3 ، موفم للنشر، الجزائر ،2007 .

القول يؤيد ما ذكرناه عن الغاية من تأليف ابن المقفع للكتاب،" ولعل أشهر القصص المترجمة كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه عبد الله ابن المقفع (ت 142هـ أو ؟145 هـ) من الفارسية إلى العربية . ويرتكز الكتاب في إطاره العام على أسئلة يطرحها أحد ملوك الهند وهو دبشليم الملك على أحد الفلاسفة وهو بيدبا الفيلسوف فيجيب الفيلسوف على تلك الأسئلة من خلال الأمثال وقصص الحيوان الرمزية "[1] .

ويبدو أنّ أسلوب ابن المقفع " أسلوب خاص به ، هو السهل الممتنع ، وإننا نجد في هذا الأسلوب أفكارا متسقة، وقوة منطق ، وألفاظ سهلة ،فصيحة منتقاة ، قوية المدلول على المعاني ، ونجد فيه من البلاغة أرفع درجاتها [2] ، يبدو أن قوة المنطق مستمدة من التفكير اليوناني ، وسهولة الألفاظ قد يكون سببها الترجمة والنقل من اللغات الأخرى تعددت أساليبه وتنوعت وسبب ذلك تنوع ثقافته ،" ناهيك عن الأسلوب القصصي الحواري الرمزي الذي اعتمده الكاتب لإعطاء ملاحظته و عظته [3]، ويطغى على الكتاب الأسلوب القصصي الحواري[4].

---

[1] – محمود عبد الرحيم صالح ،فنون النثر في الأدب العباسي ،ط2، ص: 152، دار جرير،عمان ، 2006 .

[2] – عبد الله ابن المقفع ، الأدب الصغير والأدب الكبير، ص:07.

[3] – سعيدي أبو بكر ، تحليل نصوص من كليلة ودمنة لابن المقفع ،ص:29.

[4] – أسلوب الحوار يطغى على أبواب الكتاب ،فالحوار يدور بين شخصين أو أكثر، ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب "الأسد والثور" في مثل الرجل الهارب من الذئب ،كان الحوار بين كليلة و دمنة ،لما سأل دمنة كليلة بقوله: ما ترى يا أخي ؟ ما شأن الملك مقيما في مكانه لا يتحول ولا ينشط كما كان يفعل؟ فقال له كليلة:ما شأنك والمسألة عما ليس لك ولا يعنيك ؟ ، ابن المقفع، كليلة ودمنة،تح: عبد الوهاب عزام، ص:84.

ومن خصائص أسلوبه أيضا الإقلال من الترادف وتصوير الأفكار الدقيقة في قالب منطقي،ونجد ذلك في كتابه كليلة ودمنة ، فنجد ابن المقفع يصور الحالة السياسية والاجتماعية للدولة العباسية ولكن بأسلوب رائع ، ويضرب لذلك الأمثال[1] .

ومما نلمحه عن أساليبه كذلك " ليس فيها عناية بالأخيلة الدقيقة إلا ما جاء في كليلة ودمنة وهو منقول عن الأصل .وكذلك ليس فيها عناية بالسجع ، ولا بهذا الترادف الصوتي ...وكأني به كان مشغولا على أن يحدث لنفسه أسلوبا له خصائص أدبية واضحة من إتباعات وأصوات ،أو من تشبيهات واستعارات إذ كان في شغل بالترجمة الدقيقة ، وأن يؤدي ما يجدد في الأصل الذي يترجمه ، لذلك خلت أساليبه جملة من حلية الصوت وحلية التصوير ...ومن أين يأتيه ذلك وهو لا يفكر في الجمال المادي للأسلوب وإنما يفكر في الجمال المعنوي [2]. إن قلة اهتمام عبد الله ابن المقفع لاستعمال الأخيلة والاستعارات والتشبيهات ،يرجع إلى اهتمامه بترجمة الكتب ،" فقد ترجم عن الفارسية كتبا تاريخية مختلفة وأخرى أدبية وسياسية كما ترجم كليلة ودمنة وأجزاء من منطق أرسطاليس،واتسعت الترجمة من بعده "[3]، وهذا ما أدى به أن ينشغل عن تأسيس خصائص أدبية تميزه عن غيره من الكتاب.

---

[1] – ويظهر في جل أبواب الكتاب بقوله نحو : (اضرب لي مثل)أو على ما نجده في باب :الناسك وابن عرس ،ويذكر فيه :مثل الناسك وجرة السمن والعسل،ويكون أحيانا بقوله:(وإنما ضربت هذا المثل لتنتهي عن الكلام فيما لا تدري)،ينظر :ابن المقفع،كليلة ودمنة،تح:عبد الوهاب عزام،ص:229،و 232.

[2] – ينظر : شوقي ضيف ،الفن ومذاهبه في النثر العربي ،ص:51 .

[3] – شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ،ص:19 و20،ط9،دار المعارف ،مصر،د ت ط .

إن أسلوب ابن المقفع في كتابه " كليلة ودمنة" يتنوع من أدبي إلى علمي ، فالأسلوب الأدبي يظهر في استعمال أسلوب السرد [1]في الحكايات ، والعلمي في استخدامه للمنطق والفلسفة [2]، وهو كتاب تعددت فيه الفنون الأدبية ، فامتزجت فيه الحكمة والقصص ، حيث لا يستطيع أي لون أدبي الاستغناء عن الآخر .

يظهر أسلوب ابن المقفع في كتابه " كليلة ودمنة "أسلوب المفكر الفنان معا، فعمّق الفكرة في أمثاله وحكمه نظير لدقة الفن في ألفاظه وتراكيبه فهو أقرب إلى الإيجاز لا حشو ولا فضول ولا تعقيد ، ويقصد إلى المعنى بعناية بالغة ،ولا يخلو أسلوبه من المحسنات اللفظية، ولكنها صادرة من طبع لا تكلف فيه ولا استكراه ، كما تغلب عليه الجمل القصيرة والرصانة في الألفاظ والمزاوجة بين الكلمات ، والدقة في التعبير فهو أسلوب محكم رصين ،ومن هنا يعد أسلوبه في الكتاب فوق مستوى العامة ولا يسهل تذوقه على غير الخاصة بحيث يصفه الباحثون بأنه سهل ممتنع " [3]. إن أسلوبه يحوي بعض المحسنات البديعية [4]ولكنها جاءت بطريقة عفوية ، ولم يجهد نفسه في ذلك وكان أسلوبه عميق وذلك لعمق الفكرة التي هدف إليها ابن المقفع في مؤلَفه.

---

[1] – وهو سرد أحداث القصة ومثال ذلك ما ورد في باب" القرد والغيلم" ،نحو :زعموا أنّ جماعة من القردة كان لهم ملك يقال له فاردين ،فطال عمره حتى بلغ الهرم ،فوثب عليه قرد شاب من أهل بيته ،.....فنفوا القرد الهرم.... وملّكوا الشاب.. ، ينظر: ابن المقفع،كليلة ودمنة ،تح: عبد الوهاب عزام،ص:219.

[2] – نجده في كتابه يقول :قال دبشليم لبيدبا الفيلسوف ،كما أن أفكار الكتاب أفكار فلسفية نابعة عن الفكر اليوناني والحكمة الفارسية والهندية .

[3] – عبد الله بن المقفع، محمد غفراني الخراساني ،ص:235و236. الدار القومية،القاهرة ،1965.

[4] – ومثال ذلك ما نجده في باب " الحمامة والثعلب ومالك الحزين" نحو :فلا يمكن أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض.والمحسن في تنقل ما تنقل وهو الجناس، وكذلك ما نلمحه في:" تبلغن ما لا نبلغ " وهو طباق السلب،ابن المقفع،كليلة ودمنة ،تح:عبد الوهاب عزام،ص:335و336.

- **الخصائص العامة لأسلوب عبد الله بن المقفع:**

تميز أسلوبه بالوضوح ،واتسمت لغة ابن المقفع بالسهولة ،أما عباراته فهي خالية من التكلف والتصنع ، وربما السهولة كانت نتيجة الترجمة وحرصه على النقل الصحيح للمعنى كما ذكرنا في موضع الموازنة بين عبد الحميد بن يحي الكاتب وعبد الله ابن المقفع.

فاعتمد في جل مؤلفاته على أسلوب غير معقد و تراكيب جمله تميزت بالبساطة،والاستقامة، ونجده أقل تلميحا وإشارة ، وكانت كتاباته خالية من الاستشهاد،" إن ابن المقفع لم يكن يستشهد في أسلوبه بشعر العرب،ولا يتمثل بأمثالهم،ولا يروي حكمهم أو مواعظهم، ولا ينقل مأثور كلامهم إلا قليلا ولا يسمي فصحاءهم ، ولا يشير إلى أيامهم [1] و ربما هذا يدل على أن ابن المقفع لم يكن يهتم للعرب ،فلم نجده يفعل كما فعل خطباء العرب وكتابهم وشعرائهم، فالعربي المسلم في صدر الإسلام سواء كان شاعرا أم ناثرا فنجده يستشهد بالقرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو يأخذ من أشعار العرب في الجاهلية ، ويتحدث عن أيام العرب ومغازيهم وفتوحاتهم الإسلامية ، كما أن اهتمام ابن المقفع بالترجمة قد يكون عائقا لفعل ذلك ، فترجمته لم تكن من العربية إلى غيرها من اللغات ،وإنما كانت من الفارسية إلى العربية ، ربما كان يسعى وراء نشر ثقافتهم الفارسية في الأوساط العربية .

[1] -محمد غفراني خراساني ، عبد الله ابن المقفع ، ص:453.

كما أنه لم يكن حريصا في أسلوبه على السجع [1] ،" قد كان المتقدمون لا يخفلون بالسجع جملة، ولا يقصدونه بتة ، إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام ، واتفق من غير قصد ولا اكتساب ،وإن كانت كلماتهم متوازنة ، وألفاظهم متناسبة ،ومعانيهم ناصعة ، وعباراتهم رائعة ،وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الإمام علي ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام ، كابن المقفع ،وسهل ابن هارون وأبي عثمان الجاحظ ،وغير هؤلاء من الفصحاء البلغاء[2]" ، فمن مميزات أهل البلاغة استعمال السجع دون تكلف وعناء ،ونجده " يؤثر اللفظ القريب المتناول ، ويرسل الكلام إرسالا ، لا يسجع إلا عفو الخاطر، ولا يهتم لوجه من وجوه الصنيع الأدبي مقدار اهتمامه بالمعنى ، فهو يريده واضحا دقيقا "[3] .فلذلك كانت ألفاظه سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا غرابة ، فنجد ابن المقفع يختار أسهل الألفاظ وآنقها على السمع من غير غموض .

4- موازنة بين أسلوب عبد الله بن المقفع وعبد الحميد الكاتب:

ومن خلال ما رأيناه في دراسة أسلوب كل من عبد الحميد الكاتب، وعبد الله بن المقفع نجد أنهما ينتميان إلى مدرستين مختلفتين في الأدب ،إذ ينتمي عبد الحميد إلى مدرسة

---

[1] – ومما جاء في السجع قوله:" الحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ،ذي المنّ والطول والقدرة والحول الذي لا ممسك لما فتح لأوليائه من رحمته ،ولا دافع لما أنزل بأعدائه من نقمته ...." ،(ابن المقفع ، آثار ابن المقفع ،ص:232)

[2] – محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص:13 .

[3] – داود غطاشة الشوابكة ،و مصطفى محمد الفار ، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية ،ص:58، ط2، دار الفكر،الأردن ،2010.

الترسل الصناعي[1] ، في حين أن بن المقفع ينتمي إلى مدرسة الترسل الطبيعي[2] .وخصائص أسلوبهما تختلف عن بعضهما البعض .

نجد أن أسلوب عبد الحميد الكاتب أسلوب أدبي متنوع ، فهو يشمل السجع والاستعارات والتشبيهات والازدواج ،والتقسيمات، واستعمال الحال ، كما أن أسلوبه مبني على الإطناب.

أما عبد الله بن المقفع فأساليبه مرسلة ، لا يستعمل الأسجاع ولا الازدواج إلا إذا دعت الحاجة إليه ، ويكون قد أتى بطريقة عفوية، أما الإطناب فلا يستعمله كثيرا ، وربما قاله اهتمامه بالترجمة لم يترك له وقتا لاستعمال الأساليب الأدبية ، فالمترجم يكون شديد الحرص على نقل المعنى نقلا صحيحا دون الإخلال به.

بلاغة عبد الحميد تؤثر في وجدان القارئ وتثير عواطفه ، وذلك ما لمحناه في رسالته التي بعثها إلى أهله وهو منهزم مع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فتبدو عاطفة الحزن واضحة فيها ومؤثرة.

في حين بلاغة عبد الله بن المقفع نجدها مبنية على الأمثال والحكم ، فهي تنمي العقول وتشبع الأفكار، فلا نجده يؤثر في الوجدان وإنما يؤثر على العقل ، وربما هذا دليل على ثقافته اليونانية وكأنه فيلسوف لا كاتب .

---

[1] – تراوح أسلوبها بين الازدواج والإطناب في الكلام مع بعض الأسجاع التي تعترض الكلام بعفوية من دون عناء ولا تكلف.

[2] – أسلوبها مرسل (مطلق) ،فلا ازدواجات ولا أسجاع.

كما أن طه حسين جده يقول عنهما : " إن هذين الكاتبين امتازا امتيازا عظيما ظاهرا في هذا العصر حتى أصبحا رمزا لهذا النثر الفني وعنوانا للكتابة الفنية [1]" ، يبدو أن طه حسين يلمح إلى أنّ الكتابة الفنية عرفت معهما ولم تعرف قبل عصرهما ،لأنهما يعدهما أساسا نهضت عليه الكتابة الفنية أو ما يعرف بالنثر الفني أو المرسل .

ويرى كذلك أنه " لا يوجد كاتب يعدل عبد الحميد فصاحة لفظ وبلاغة معنى واستقامة أسلوب ، فهو أحسن من كتب العربية ومرّنها وأقدرها على أن تتناول المعاني المختلفة وتؤديها ، وربما كان الأستاذ المباشر للكتاب المترسلين [2]".وهذا القول يوضح أنّ طريقة عبد الحميد الكاتب في الكتابة لم يسبقه إليها أحد ،فنجده خرج عن الإيجاز إلى طور الإطناب والازدواج .

لقد اشتهرا ببلاغتهما وفصاحتهما ،حتى نسبوا إليهم أولية ظهور النثر الفني عند العرب،"وفي هذا العصر أي في القرن الثاني الهجري ، ظهر كاتبان : ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ،وهما إن لم يخلقا النثر الفني خلقا ...فإنهما كانا أول من وطدّ أسلوبه ، وأجرى قواعده ، ونظم مناهجه ، وقدّمه كاملا واضحا بيّنا [3].

[1] – طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ،ص: 40 .

[2] المرجع نفسه،ص: 48 ،49.

[3] – عبد الله ابن المقفع ، آثار ابن المقفع ،ص:07.

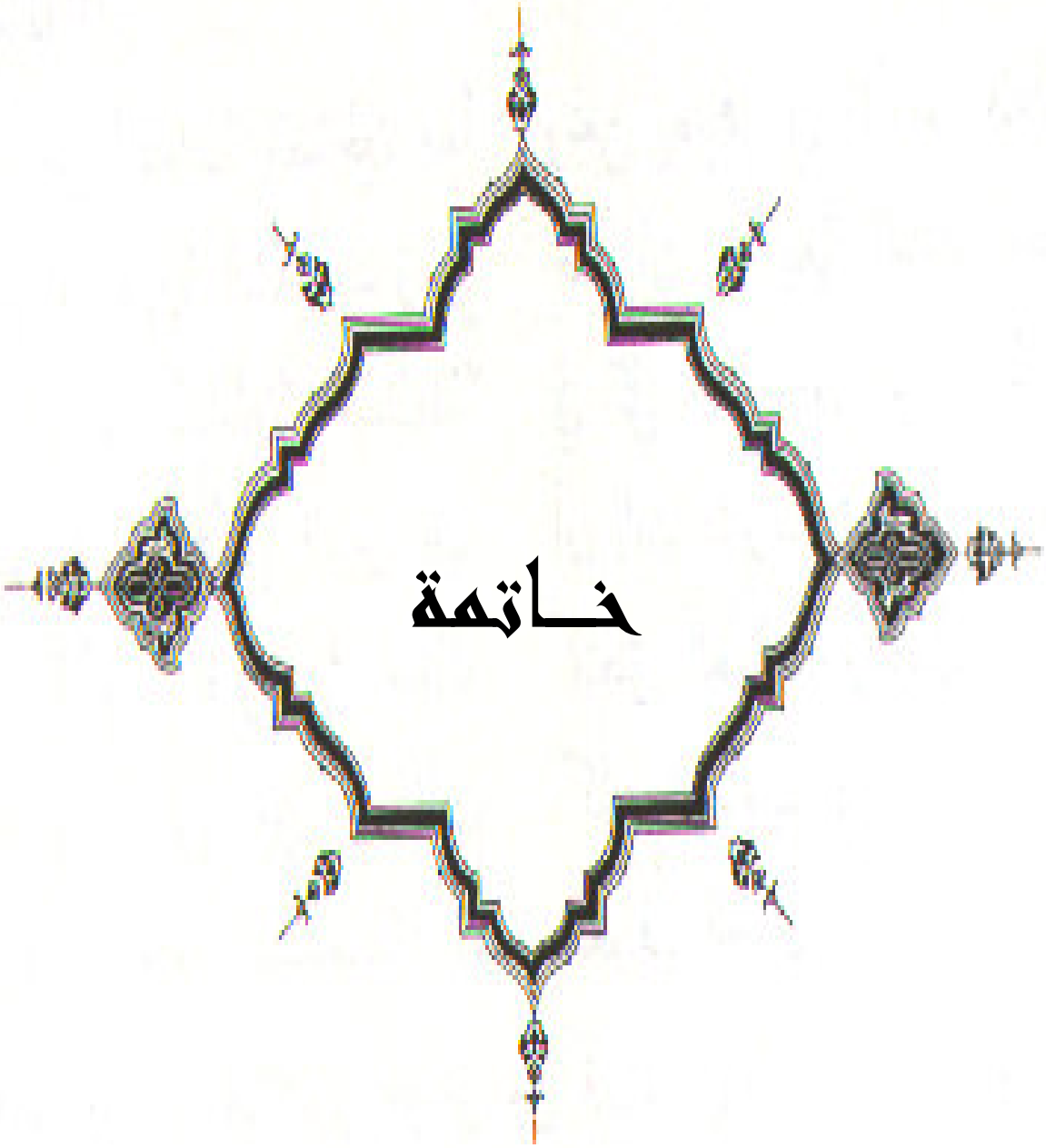
خـــاتمة

حاولنا في هذه الدراسة أن نحدد معالم البلاغة العربية في نثر بني أمية ، وقادنا التتبع إلى أن البلاغة عندهم كان مصدرها الفطرة والموهبة والسليقة ،إذ أنهم لم يكونوا على علم بالأسس الفنية التي تقوم عليها ، وذلك أنّ البلاغة كانت في مهدها فلا قواعد يبني بها الأديب أو الناثر نصّه ،فالألوان البلاغية التي لاحظناها في نصوص الأمويين تمثلت في السجع- الذي يجري مجرى القافية في الشعر - مما أكسب نثرهم تناغما موسيقيا ، وبعض ألوان البيان(كالتشبيهات والكنايات والاستعارات) والبديع (من الجناس والطباق والمقابلات المعنوية) وبعض من مظاهر علم المعاني (الإيجاز والإطناب)، كما لا ننسى اقتباسهم من القرآن الكريم ، وتضمين نصوصهم الأحاديث النبوية الشريفه ؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ثقافتهم الإسلامية ؛ والتي منبعها كلام الله عزّ وجلّ،واستشهادهم بالأبيات الشعرية ، وكل ذلك بهدف الاحتجاج والإقناع وتزيين نثرهم ببلاغة القدماء .

- إذ نجد أنّ العرب ــفي الجاهلية وعصر صدر الإسلام وبداية العصر الأموي ــ كانت تفضل الإيجاز (وهو استعمال قليل اللفظ لأداء معان كثيرة) عن غيره من الإطناب(الذي هو استعمال الكثير من اللفظ لتأدية المعنى لفائدة).

- و الذين اعتمدوا الإيجاز نجد أكثرهم من الخطباء ، وأبرزهم خطباء السياسة،كالحجاج بن يوسف الثقفي ،و زياد بن أبيه ،ونجد بعض خطباء الدين في مقام الوعظ والإرشاد كالحسن البصري .

إن أسلوب الرسائل فكان يتراوح أحيانا بين الإيجاز والإطناب ،حسب ما يقتضيه المقام،فالرسائل السياسية والوعظية غلب عليها الإيجاز ،أما أسلوب الرسائل الإخوانية فكانت تقتضي الإطناب ؛فالكاتب يسهب لأنه يكون بصدد التعبير عما يختلج صدره؛لأنه يخاطب الإخوان أو الأصدقاء أو الأهل ،فالمقام يؤدي به إلى الإسهاب في كتابة رسالته .

– ومن الكُتاب من اعتمد الإطناب ــوأكثرهم كُتاب الدواوين من الموالي ــ أسلوبا له في الكتابة أمثال عبد الحميد الكاتب، والذين لزموا طريقته في الكتابة من بعده ؛ وهو الذي يعد أول من أطال التحميدات في صدور الرسائل ،ومن أبرز آثاره " رسالته إلى الكتاب" وهي عبارة عن نصائح قيمة وجهها إلى معشر الكتاب ؛وهدفه من ذلك إتقان صنعة الكتابة، واتسمت رسالته بالإسهاب ؛وله رسالة من أطول ما تركه عبد الحميد الكاتب " رسالته إلى عبد الله ابن مروان على لسان أبيه " مروان ابن محمد" (وهو آخر خلفاء بني أمية، وكان عبد الحميد كاتبا له) .

– ومن الموالي الذي أتقنوا الكتابة نذكر عبد الله بن المقفع فارسي الأصل، وهو الذي عاش مخضرما في آخر العهد الأموي ،وشهد سقوط دولتهم،وبداية دولة بني العباس، لقد كان له أسلوب مختلف في الكتابة ــ الأسلوب المرسلــ فهو لم يعمد إلى السجع في كتاباته ،وتميز أسلوبه بالسهولة ،إذ قيل عنه " السهل الممتنع" ،وعرف ابن المقفع بترجمته للكتب من لغته الفارسية إلى اللغة العربية، مما أثرى به المكتبة العربية وأشهر تلك الكتب " كليلة ودمنة" ، وتميزت كتبه بالأسلوب المرسل،الذي اتبعه الكتاب الذين جاؤوا من بعده .

– وعلى الرغم من أنّ ابن المقفع فارسي الأصل ؛إلّا أنه يفضل الأسلوب الموجز عن أسلوب الإطناب ، تميزت مؤلفاته بإيجاز شديد منها نذكر الأدبين : الكبير والصغير.

– ابن المقفع كان حريصا على إيصال معناه سليما أثناء ترجمته للكتب، كما أنه كان يسعى إلى الدقة في التوفيق بين اللفظ والمعنى والمدلول .

– امتزاج العرب بغيرهم كان له أثر كبير على النثر في عصر بني أمية ،مما أثرى بلاغتهم ولغتهم وأكسبهم ثقافات(يونانية وفارسية وهندية) وعلوم مختلفة في الطب والفلسفة والهندسة ؛وذلك عن طريق ترجمة كتبهم إلى اللغة العربية.

تم إنجاز المذكرة بحمد الله وتوفيقه .

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

قائمة المصادر :

1. ابن الأثير،(ضياء الدين) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، ط2 ،1973 .
2. ابن المقفع (عبد الله بن المقفع)، الأدب الكبير والأدب الصغير، تح: أحمد زكي باشا، ط1، دار ابن حزم، بيروت،2006 ..
3. آثار ابن المقفع ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1989 .
4. آثار ابن المقفع ، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت ،1986 .
5. كليلة ودمنة ، تقديم مرزاق بقطاش، دار الثقافة، الجزائر، 2007.
6. كليلة ودمنة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،2012 .
7. ابن النديم (محمد بن إسحاق النديم)، الفهرست، تح: مصطفى الشويمي، عاصمة الثقافة، الجزائر ، 2007.
8. ابن حجة الحموي ،خزانة الأدب وغاية الأرب ، شرح:عصام شعيتو ، ط1، دار الهلال، بيروت ، 1987.
9. ابن حمدون ،التذكرة الحمدونية،تح:بكر عباس وإحسان عباس،ج1،ط1،دار صادر، بيروت، 1996.
10. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون ، قدمه : عبد الهادي بن منصور و عبد القادر بوزيدة وأحمد هني، ترجمة التقديم : حسن بن مهدي ،عاصمة الثقافة،الجزائر،2007.
11. ابن رشيق (أبو الحسن بن رشيق القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، ط5، بيروت، 1981.

12. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
13. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد،تح:محمد التونجي،ط1،دار المدار الثقافية،الجزائر،2009.
14. ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ،ج1، دار الفكر، بيروت، 1979.
15. ابن منظور ،لسان العرب، تح:عامر أحمد حيدر ، مراجعة :عبد المنعم خليل إبراهيم،دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، 2003 .
16. أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي ، الفهري الشريشي ، المعروف ب"البونسي" ، كنز الكتاب ومنتخب الآداب ، تح: حياة قارة ، أبو ظبي،2004.
17. أبو إسماعيل علي القالي البغدادي، الأمالي ،ج 1،وج 2 ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007.
18. أبو العباس أحمد القلقشندي ،صبح الأعشى في كتابة الإنشا ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1922 .
19. أبو العباس المبرد ،الكامل في اللغة والأدب ، تع : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،2002 "
20. الكامل في اللغة والأدب،تح :محمد أحمد الدالي ،مؤسسة الرسالة بيروت ،1997.
21. الكامل في اللغة والأدب ، تح: عبد الحميد هنداوي ،ط1، د د ن ، 1999.
22. أبو القاسم محمد الحريري ، مقامات الحريري ، تقديم : مختار نويوات ،ج1،موفم للنشر،الجزائر ، 2007.

23. أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، اعتنى به : محمد الفاضلي ، دار الأبحاث ، الجزائر، 2007 .

24. أبو منصور الثعالبي النيسابوري، سحر البلاغة وسر البراعة ،تح: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية،بيروت ،دت ط .

25. أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، الملل والنحل، تح:ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، 1986.

26. أبو هلال العسكري، الصناعتين ، تح : علي محمد البجاوي،ط1 ، 1952 .

27. الصناعتين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989.

28. جمهرة الأمثال ، ضبط:أحمد عبد السلام ،خرّج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت، 1988 .

الثعالبي (أبو منصور) ،الإعجاز والإيجاز ، تح: اسكندر آصاف ، المطبعة العمومية، مصر،1867.

29. الجاحظ ، البيان والتبيين، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية بيروت ،2003.

30. الحيوان ، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، مصر،1966 .

31. الرسائل الأدبية، تح: علي بوملحم ،دار الهلال، بيروت، 2004.

32. البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،1998 .

33. الحصري (أبو إسحاق بن علي الحصري القيرواني)، زهر الآداب وثمر الألباب، تقديم: صلاح الدين الهواري،المكتبة العصرية ،بيروت ،2005.

34. الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب) ،الإيضاح في علوم البلاغة ، اعتنى به محمد الفاضلي ،د د ن ، د ت ط .
35. التلخيص في علوم البلاغة ، شرح: عبد الرحمن البرقوقي ،دار الفكر،ط4 ، 1904.
36. الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر)، ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا ، وضعه: أحمد عناية، ط1، دار الكتب العلمية، 2005.
37. الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، تح: رياض عبد الحميد مراد ، دار صادر ، بيروت ط1، 2004 .
38. الزركلي (خير الدين) ،الأعلام ،ج3،ط15،دار العلم للملايين،بيروت،2002.
39. الزمخشري، أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،1998.
40. الشريشي (أبو العباس عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي)،شرح مقامات الحريري ، تح: ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2006
41. عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، اعتنى به: محمد الفاضلي،دار الأبحاث الجزائر،2007.
42. عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تح:محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر،د ت ط .
43. دلائل الإعجاز في علم المعاني،تح: عبد الحميد الهنداوي،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2001.
44. أسرار البلاغة في علم البيان ،تح: عبد الحميد هنداوي ،ط1، دار الكتب العلمية ،2001 ، بيروت .

45. علي بن أبي طالب، نهج البلاغة ،شرح : محمد عبده ، اعتنى به وراجعه : علي أحمد حمود ، المكتبة العصرية، بيروت ، 2005 .

46. قدامة بن جعفر ، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت ،1980.

47. محمد رضا ،تراجم الخلفاء الراشدين، تح: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث،القاهرة، 2004.

48. محمد كرد علي ، رسائل البلغاء،دار الكتب العربية الكبرى ،مصر ،1331 هـ.

49. المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دارالفكر ، بيروت، 1972.

50. الميداني (أبو الفضل)،تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية،1955 .

51. الهاشمي(السيد أحمد)، جواهر الأدب ، ، تح: يحي مراد ،ط1 ، مؤسسة المختار،القاهرة 2005 .

52. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط:يوسف الصميلي،ط1، المكتبة العصرية ، بيروت،1999.

53. هبة الله المدائني(عز الدين أبي حامد عبد الحميد) ، شرح نهج البلاغة ، تح:حسين الأعلمي ، ط1 ،بيروت ،1999 .

قائمة المراجع:

1. ابتسام مرهون الصفار ،أثر القرآن الكريم في الأدب العربي الأول للهجرة ، ط1 ،دار جهينة ، عمان ،2005 .
2. أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط10 ، دار الكتاب العربي، بيروت ،1969.
3. أحمد أمين، ضحى الإسلام ،مكتبة الأسرة، مصر ،1997.
4. أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي دار الثقافة ،ط29،بيروت،1958 .
5. أحمد محمد الحوفي ،تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار نهضة مصر، القاهرة، د ت ط.
1. أحمد زكي صفوت ،جمهرة خطب العرب،ج1 ،ط1، ،مكتبة مصطفى الثاني وأولاده بمصر،1923.
6. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج2، المكتبة العلمية، القاهرة، 1937.
7. أنور حميدو فشوان ، دراسات في عصور الأدب العربي، ط1، خوارزم العلمية،2006.
8. أنيس المقدسي ،تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ،دار العلم للملايين ،ط4 ،1968 بيروت.
9. حامد حنفي داود ،تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1982 .
10. حبيب يونس مغنية، الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي ،دار الهلال ،2002.

11. حمودي زين الدين عبد المشهداني ،الدراسات اللغوية خلال القرن 4 هـ ، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت ، 2005 .

12. حميد آدم الثويني ،فن الأسلوب ، دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية ، ط1 ، دار صفاء للنشر ،الأردن ،2006.

13. حميد آدم الثويني، الأمالي في أصول الكتابة العربية ، ط1 ، دار صفاء ، عمان، 2006.

14. حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي وتاريخه ،أدب عربي قديم ،دار الجيل، بيروت ،ط3 ، 2003،

15. داود غطاشة الشوابكة و مصطفى محمد الفار، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية دار الفكر،ط2، الأردن، 2010.

16. زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري،مؤسسة الهنداوي، القاهرة،1936

17. سعيدي أبو بكر، تحليل نصوص من كليلة ودمنة لابن المقفع، ،دار هومه، الجزائر، 2005.

18. شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ،ط9،دار المعارف ،مصر، د ت ط .

19. شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، دار المعارف، مصر، د ت ط .

20. سليمان بن صالح الخراشي، المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم،الرياض،2007 .

21. شوقي ضيف،الفن ومذاهبه في النثر العربي ،دار المعارف، مصر، دت ط .

22. صالح بن رمضان ،الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ،مشروع قراءة شعرية ، دار فارابي، بيروت ،ط1 ،2001 .

23. طه حسين، المجموعة الكاملة ،ط2،دار الكتاب اللبناني، بيروت ،1982.

24. طه حسين، من حديث الشعر والنثر،دار المعارف،مصر، د ت ط

25. عبد الحليم حسين الهروط الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (المضمون والأهمية والشكل)، دار جرير للنشر ، الأردن ، ط 1 ،2006 .

26. عبد الله بن المقفع ، حياته وآثاره، تقديم : عبد الحميد حاجيات،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائرَ،1990.

27. عبد الله بن المقفع، محمد غفراني الخراساني، الدار القومية ،القاهرة ،1965.

28. عبد المتعال الصعيدي ،بغية الإيضاح لتلخيص مفتاح علوم البلاغة ،مكتبة الآداب، القاهرة،1999 .

29. عمر عروة ،النثر الفني القديم عند العرب ،دار القصبة ،الجزائر،2000.

30. غريد الشيخ ، أحلى ما قيل في الحكم والأمثال ، دار الكتاب العربي، بيروت،2007.

31. فايز يوسف محمد ، قاموس الطلاب في الحكم والأمثال،دار الكتاب العربي،بيروت، ط1994،1.

32. فخري خليل النجار ، الأسس الفنية للكتابة والتعبير ،ط1 ، الأردن ،2007

33. قدور ابراهيم عمار المهاجي،دراسات في الأدب العربي قبل الإسلام،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1998 .

34. محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1982 .

35. محمد عبد الغني الشيخ ،النثر الفني في العصر العباسي الأول ،اتجاهاته وتطوره ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت ط..

36. محمد عبد الغني حسن ،فنون الأدب العربي،الخطب والمواعظ،دار المعارف،مصر، د ت ط.

37. محمد عبد المنعم خفاجي الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ،دار الجيل،بيروت،1990.

38. محمد مندور،الأدب وفنونه ،ط5 ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة ،2006.

39. محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي،دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب،ط2،د.د.ن،1986.

40. محمد يونس عبد العال، في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص،ط1،دار نوبار،القاهرة،1996.

41. محمود عبد الرحيم صالح ،فنون النثر في الأدب العباسي، ط2، دار جرير، عمان،2006.

42. مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز،ص:140 ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1995.

43. معاذ السرطاوي ،دراسات في الأدب العربي ،ط1، د ن ن، د ت ط .

44. يوسف أبو العدوس،مدخل إلى البلاغة العربية ، علم المعاني ـ علم البيان ـ علم البديع ، ،ط1، دار المسيرة ، الأردن ،2007.

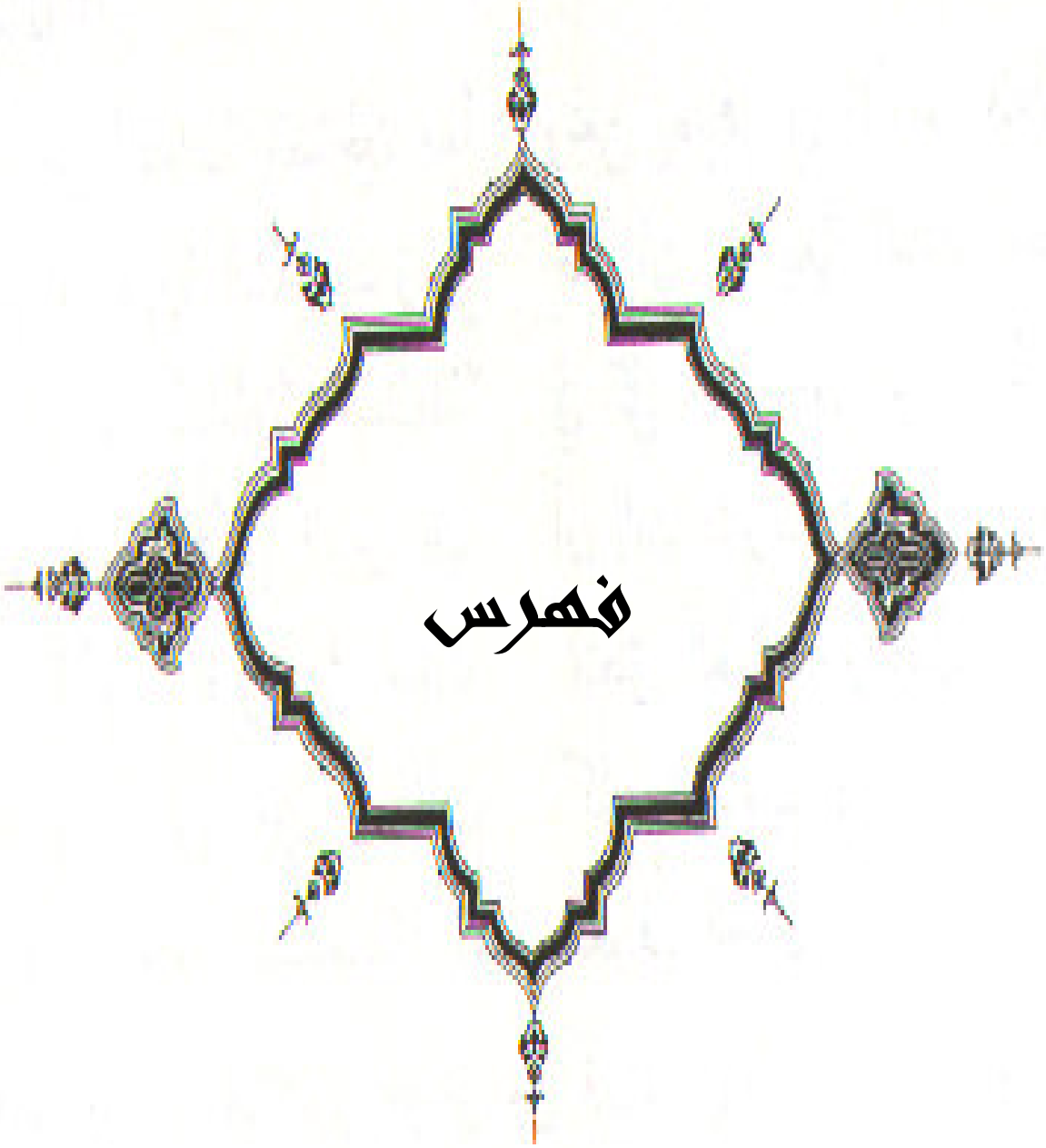

فهرس

فهرس الموضوعات

المقدمة .....أ

المدخل.....1

الفصل الأول: بلاغة الخطابة في عهد بني أمية

1 - مفهوم البلاغة ..... 12.

2- الخطابة ..... 16.

3- أنواع الخطابة..... 21 .

4- أساليب الخطابة ومميزاتها..... 40.

الفصل الثاني :ملامح البلاغة في كتابة الرسائل

1 – مفهوم الكتابة وتطورها ..... 50.

2 – فن الرسائل وأنواعه ..... 56.

3- بعض المظاهر البلاغية في الرسائل والمكاتبات.....61.

4- الفرق بين أسلوب الكتابة وأسلوب الخطابة..... 75.

5- أسلوب الرسائل..... 79.

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث : الامتزاج الثقافي وأثره في أساليب النثر الأموي

1- أثر الامتزاج الثقافي في النثر الأموي..... 82.

2 – أساليب الكتابة عند عبد الحميد الكاتب وابن المقفع ..... 91.

3 – خصائص أسلوب كتاب "كليلة ودمنة".....109.

4- موازنة بين أسلوب عبد الله ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب..... 114.

خاتمة ..... 118.

قائمة المصادر والمراجع ..... 122.

فهرس الموضوعات ..... 133.

إنّ بلاغة النثر في العصر الأموي اتسمت بمميزات البلاغة العربية القديمة في فترة الجاهلية؛وذلك أن الخطباء كانوا يضمنون خطبهم الأشعار القديمة ويزينوها بالأمثال والحكم،وبعد ظهور الإسلام اكتسب نثرهم أساليب قرآنية لأنهم اقتسبوا منه لتأثرهم ببلاغته،ولما انفتح المسلمون على الأمم المجاورة كالفرس مثلا أو الروم؛اختلفت أساليب الكتابة وذلك لأنها كانت في يد الموالي من الفُرس، ومن بين أعلام الكتاب "عبد الحميد بن يحي الكاتب" الذي اتخذ الإطناب والازدواج أسلوبا له في الكتابة بدل الإيجاز الذي كان العرب يفضلونه،وكان هناك كاتبا آخر عرف بترجمته للكتب من لغته الفارسية إلى العربية؛وهذا ما أدى إلى ثراء الأدب العربي ،وابن المقفع من أئمة كتاب عصره،أخذ عن العرب الإيجاز وعن الفرس تقاليد الكتابة، وكان له أثر كبير على الكتاب الذين أتوا من بعده مثل الجاحظ وابن العميد وهم من كتاب عصر بني العباس .

الكلمات المفتاحية

البلاغة ، خطابة ، رسائل ، كتابات، النثر ،إيجاز، إطناب، سجع، اقتباس وتضمين،عصر بني أمية.

الملخص

إنّ بلاغة النثر في العصر الأموي اتسمت بمميزات البلاغة العربية القديمة في فترة الجاهلية؛وذلك أن الخطباء كانوا يضمنون خطبهم الأشعار القديمة ويزينوها بالأمثال والحكم،وبعد ظهور الإسلام اكتسب نثرهم أساليب قرآنية لأنهم اقتبسوا منه لتأثرهم ببلاغته،ولما انفتح المسلمون على الأمم المجاورة كالفرس مثلا أو الروم؛اختلفت أساليب الكتابة وذلك لأنها كانت في يد الموالي من الفُرس، ومن بين أعلام الكتاب "عبد الحميد بن يحي الكاتب" الذي اتخذ الإطناب والازدواج أسلوبا له في الكتابة بدل الإيجاز الذي كان العرب يفضلونه، وكان هناك كاتبا آخر عرف بترجمته للكتب من لغته الفارسية إلى العربية؛ وهذا ما أدى إلى ثراء الأدب العربي، وابن المقفع من أئمة كتاب عصره،أخذ عن العرب الإيجاز وعن الفرس تقاليد الكتابة، وكان له أثر كبير على الكتاب الذين أتوا من بعده مثل الجاحظ وابن العميد وهم من كتاب عصر بني العباس .

الكلمات المفتاحية

البلاغة؛ خطابة؛ رسائل؛ كتابات؛ النثر؛ إيجاز؛ إطناب؛ سجع؛ اقتباس وتضمين؛ عصر بني أمية.

نوقشت يوم 30 جوان 2015